الشيخ عبد الله الصالح الفالح (حياته وأدبه)
(١٣٤٥هـ - ١٤٣٣هـ)

د. سلطان بن سعد السلطان
كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحريملاء
جامعة شقراء

الشيخ عبد الله الصالح الفالح (حياته وأدبه) (١٣٤٥هـ - ١٤٣٣هـ)

د. سلطان بن سعد السلطان

كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحريملاء
جامعة شقراء

تاريخ تقديم البحث: ١٧/ ٢/ ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ١٠/ ٢/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يعد عبدالله الصالح الفالح (١٣٤٥هـ-١٤٣٣هـ) أحد العلماء والأدباء والشعراء، فكان شعلة نشاط في مقتبل شبابه ومستهل عمره، يخطب في المحافل، ويتقدم في المجامع، في أثناء دراسته في دار التوحيد بالطائف، وفي كلية الشريعة بمكة، وكان حاد الذكاء، متوقد الذهن، ذا صوت شجي، وخط جميل رائق، حاز على إعجاب أساتذته وشيوخه، وبهر زملاءه وأصدقاءه، ولكن تلك المواهب، والهبات سرعان ما خمدت، وغاب وهجها، وآثر صاحبها العزلة والانزواء عن الناس، مكتفياً بوظيفة متواضعة لا تليق بمكانته، يقتات منها ما يقيم أوده، ويصلح شأنه، وعاكفاً على القراءة الحرة، يزجي بها وقته، راغباً عن لقاء الناس إلا مع بعض أصفيائه. عمل في التدريس، ثم انتقل منه إلى وظيفة أمين مكتبة، أمضى فيها باقي حياته الوظيفية حتى تقاعد سنة ١٤٠١هـ.

برع في الشعر بشهادة معاصريه، وكان متأثرا بالنزعة الرومانسية في الأدب، فطغت على شعره، كما هو واضح في النصوص المثبتة في هذا البحث. كانت له فقرة مشهورة في برنامج الندوة الأسبوعية التي تعقد كل ليلة جمعة في النادي الأدبي في دار التوحيد أسماها: (عدسة المعنويات) يحلل فيها شخصية من الشخصيات البارزة في دار التوحيد، سواء أكانت من الطلاب أم من الأساتذة، يورد جوانب القوة والضعف فيها.

وفي هذا البحث ترجمة لهذا العلم المغمور، ونبذة موجزة عن دار التوحيد وكلية الشريعة، ونماذج لما حصلت عليه من شعر الفالح ونثره.

الكلمات المفتاحية: (عبدالله الصالح الفالح -دار التوحيد -كلية الشريعة- الأدب السعودي الحديث - المذهب الرومانسي - عدسة المعنويات - الشعر السعودي - النثر السعودي)

Al sheikh Abdullah Al-Saleh Al−Faleh

(What has remained of his prose and poetry) (1345 H - 1433 H)

Dr. Sultan bin Saad Alsultan
College of Science and Humanities - Huraymila
Shaqra University

Abstract:

Abdulla Elsaleh Elfaleh (1345 – 1445 H) has been classified with poets and men of letters. He was very active in his prime speaking in public and assuming a pioneering role in meetings while studying at Dar Eltawheed in Taif and at the Faculty of Sharia in Mecca. He was very intelligent. His voice was melodious and his handwriting neat. He was admired by his instructors and sheiks. His friends and colleagues were impressed and influenced by him. All these talents and gifts, however soon faded away as Abdulla preferred isolation. He was satisfied with a modest job that does not match his stance. The salary he received was barely enough to survive. He was keen on free reading to make time pass. He avoided meeting with people except for very close friends. He taught for some time before moving to the position of a librarian until his retirement in 1401 H. He excelled in poetry, all his contemporaries gave him credit for this. He was affected by Romanticism. His poetry was very romantic. The texts introduced in this research paper assure this aspect. He appeared weekly on the famous program "Symposium" presented every Friday at the Literary Club. His input came under the title of "Lens of Morale" during which he analyzed outstanding figures of Dar Eltawheed whether they were students or instructors, showing their points of strength and weakness. This research incorporates a biography of this obscure man of letters. It renders also a brief account of Dar Altawheed as well as the Faculty of Sharia. It embraces as well what I managed to obtain from Elfaleh's prose and verse.

key words: Abdulla Elsaleh Elfaleh – Dar Altawheed – Faculty of Sharia – Modern Saudi Literature – Romantic School, Lens of Morale – Saudi Poetry – Saudi Prose..

المقدمة:

يعدُ عبدالله الصالح الفالح من العلماء والأدباء، فقد كان شعلة نشاطٍ في ريق شبابه، ومستهلّ حياته، يخطب في المحافل، ويلقي في المجامع أيام دراسته في دار التوحيد بالطائف، وفي كلية الشريعة بمكة.

وقد وهبه الله مواهب عديدة، فكان حادَ الذكاءِ، متوقدَ الذهن، قوي الذاكرة، حاضر البديهة، ذا صوت شجي، وخط جميل رائق، ولكن تلك المواهب والهبات أطفأ وَهَجَها حُبُّ العزلة والانزواء عن الناسِ، ونكران الذات، واستصغار النفس، فخمدت جذوة تلك المعالم، وآثر صاحبُها العيشَ في الظلّ، يقتاتُ من وظيفة متواضعة، مؤثراً القراءة الحرة على غيرها من ملاذ الحياة، وظل هكذا بعيداً عن الأضواء، زاهداً في لقاء الناس إلا من بعض أصفيائه.

وتقاعد عن العمل سنة ١٤٠٠هـ، وأخذ يتنقل بين مكة وعنيزة، ثم استقر به المقام في مسقط رأسه، ومرتع صباه عنيزة، والتفّ حوله عدد من الطلاب، يقرأون عليه بعض المتون في اللغة العربية. وعاش حياته عزباً حتى توفاه المولى عَز وجل سنة ١٤٣٣هـ.

وفي ظل تقصيرنا تجاه أولئك الأعلام، غابت عنا كثير من أحداث حياتهم، وضاعت منا آراؤهم الثاقبة، ونظراتهم الصائبة، وفقدنا كتاباتهم وإنتاجهم.

وقد أعجبت بسيرة هذا الشيخ، منذ أَنْ قرأت ما قاله عنه الشيخ محمد بن جبير، في لقائه المشهور الذي أجراه معه د- عبدالرحمن الشبيلي، وأبان فيه عن جوانب من شخصيته، فبدأت أجمع مادة هذا البحث، فرجعت من أجل ذلك

إلى الصحف المحلية التي عاصرت فترة دراسة الفالح في دار التوحيد وفي كلية الشريعة، حين كان ينشر إنتاجه، وتصفحتها عددا عددا، وكان الحصول على أعدادها عسيرا، ولكن الله يسره. فتم هذا البحث الذي حاولت فيه أن أترجم للفالح ترجمة تُلقِي بعض الملامح عن حياته وتعليمه ونشاطه الأدبي، كما أثبت بعض النصوص الشعرية والنثرية، التي جاشت بها قريحته، واستطعت الحصول عليها.

ولعل الأيام تكشف عن المزيد من إنتاجه، أسبغ المولى عليه شآبيب الرحمة وأسكنه فسيح الجنات.

وفي الختام أشكر مكتبة الملك فهد الوطنية إذ أتاحت لي الاستفادة من مقتنياتها النادرة، ومنها تسجيل صوتي مع الشيخ الفالح، سجله الأستاذ محمد القشعمي؛ وكذلك بعض الأوراق المخطوطة بيد الشيخ، بارك الله في جهود القائمين عليها.

* * *

مولده ونشأته:

هو عبدالله بن صالح بن محمد بن صالح الفالح، من أهل عنيزة، وأسرة الفالح من سكانها القدماء، وهم من سبيع بني ثور[1]. ووالده صالح، من مواليد عنيزة سنة ١٣٢٠هـ تقريباً، عاش طفولته في عنيزة، ثم غادرها بصحبة والده محمد إلى الشام، وكان صغيراً، وتلَقّى تعليمه الأوَّلي في سوريا، ثم عاد بعدها إلى عنيزة، واستقر فيها فترة. ثم سافر إلى البحرين عام ١٣٣٨هـ وعمل مع التاجر عبدالرحمن القصيبي سبع سنوات، ثم مع التاجر يوسف كانوا، وبعدها عاد إلى عنيزة، وكان عمره آنذاك ثلاثاً وعشرين سنة، وتزوج من امرأة من أهل القصيعة، وأنجبت أكبر أولاده عبدالله –وهو المترجم له – وعبدالرحمن سكن فيما بعد في الدمام، ومحمد، وكان مقيماً في الطائف.

وكان والده محمد الفالح وكيلاً للتاجر محمد العبد الله البسام، وكان من أكبر تجار المواشي في الشام وتركيا ومصر، وكان مقيماً في (سلمة) بالقرب من يافا في فلسطين.

وأما ابنه صالح فقد أقام في عنيزة بعد زواجه، إلى أن جاءته رسالة تفيد بوفاة والده محمد وقد تجاوز التسعين، فرحل ابنه صالح ليصفي حسابات والده، ومداياناته مع بعض التجار في فلسطين، واشترى صالح مزرعة برتقال في حيفا، وكان يزرع فيها البرتقال والشعير والسمسم، وله مواش.

---

(١) انظر: معجم عنيزة: محمد بن ناصر العبودي د –ت (١٨٥/١٢). وانظر: جريدة الجزيرة ـ العدد (٥٦٦٤) – ١٤٠٨/٨/١٤هـ حديث الذكريات بين مصر والشام ـ لقاء مع صالح الفالح، أجراه: محمد الوعيل، (ص٤ – ٥).

وبعد إعلان دولة إسرائيل في حرب ١٩٤٨م رحل صالح إلى مصر، تاركاً مزرعته وأمواله، وفي مصر اشتغل بالخيل، يبيع ويشتري، وارتبط بالشيخ فوزان السابق رحمه الله.

وكان عدد النجديين المقيمين في مصر آنذاك قرابة العشرين، يعملون في تدريب الخيل وإعدادها للسباق، وتزوج هناك بامرأة مصرية أصلها من نجد، وأنجبت له أبناءه عبدالعزيز وسليمان وعبدالمحسن، وقضى في مصر ستين سنة، حتى أشار عليه الشيخ محمد بن عبدالرحمن السديري بالعودة، فعاد إلى المملكة عام ١٤٠٨هـ، وظل طوال تلك الفترة يحتفظ بجنسيته السعودية[١]. وقد توفي في الطائف شهر ذي القعدة عام ١٤١٨هـ، عن عمر قارب المئة[٢].

ولا شك أن هذا الاغتراب الطويل الذي دام ستين سنة قد ألقى بظلاله على شخصية ابنه عبد الله.

أما الشيخ عبدالله فقد ولد في عنيزة سنة ١٣٤٥هـ، ولما بلغ سن الخامسة التحق بالكتاتيب، وتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة[٣] ، ثم التحق بالمدرسة السعودية بعنيزة، وأدْخل السنة الثانية التحضيرية؛ لأنه قد درس القرآن في

---

(١) انظر: الجزيرة- العدد (٥٦٦٤)- ١٤٠٨/٨/١٤هـ- حديث الذكريات بين مصر والشام- (ص٤ – ٥).

(٢) اللقاء الشفهي مع الشيخ عبدالله الفالح- أجراه الأستاذ: محمد القشعمي – ضمن التاريخ الشفهي – من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٣) انظر: الجزيرة -العدد (١٥٦٩٦)، ١٤٣٦/١٢/٥هـ -مقال : الفقيه العابد والأديب الزاهد عبد الله بن صالح الفالح _ د سامي السلمان-(ص٢٣)

الكتاتيب، وأتقن تلاوته نظراً، وكانت مواد الدراسة سبعاً، ومن أساتذته في تلك الفترة: الشيخ صالح الصالح، والشيخ سليمان الشبل[١].

ولقي من الأستاذ صالح الصالح، اهتماماً وتشجيعاً؛ حيث حبب إليه القراءة الحرة والاطلاع الدائم. ولكنه لم يكمل دراسته الابتدائية؛ حيث وصل إلى الصف الخامس، فلم يكن في المدرسة صف سادس بسبب ضَعْفِ الإمكانات، آنذاك[٢].

وكان من زملائه في تلك المدرسة: د. عبدالعزيز الخويطر، وسليمان العبد العزيز الزامل، وصالح العبد العزيز النعيم، وعبد الله اليحيا، وعبد الله الوابل، وصالح الزغيبي وغيرهم[٣].

وبعد إتمامه الصف الخامس، أخذ يحضر دروس الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي[٤]، وكان في الرابعة عشرة من عمره أو الخامسة عشرة. وظل يغرف من علمه من سنة ١٣٥٩هـ، إلى سنة ١٣٦٤هـ، فقرأ عليه كتاب الروض المربع - وهو كتاب من كتب الفقه الحنبلي - قرأه عليه سبع مرات، كما قرأ عليه في

---

(١) وسم على أديم الزمن- د. عبدالعزيز الخويطر -مطبعة سفير. الرياض. الطبعة الثانية - ١٤٢٧هـ، - (١/٣٥٩).

(٢) انظر: الجزيرة - العدد (١٥٦٩٦) - ١٤٣٦/١٢/٥هـ- مقال سابق - د. سامي السلمان.(ص٢٣)

(٣) وسم على أديم الزمن- (١/٣٥٩).

(٤) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه: محمد القشعمي مع الشيخ.

التفسير والحديث والتوحيد. وكان – خلال دراسته –يتولى مكتبة عنيزة التي في الجامع، والتي كان يشرف عليها الشيخ السعدي[١].

ومن زملائه الذين درسوا على الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن البسام، وأخوه صالح، ومحمد بن إبراهيم البطحي، وعبدالعزيز المسلم، وإبراهيم بن محمد القاضي. وصالح الصالحي[٢].

(١) انظر: كتاب الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير د. عبد الرحمن الشبيلي- الطبعة الثانية – ١٤٣٢ هـ (ص٤٤). انظر: معجم عنيزة (١٨٨/١٢) والجزيرة – العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ، مقال سابق د- سامي السلمان.(ص٢٣)

(٢) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

تعليمه: أ– في دار التوحيد:

في ١٣٦٤/١/٢٦هـ، أصدر الملك عبد العزيز أمره بافتتاح دار التوحيد، وربطها بالشعبة السياسية بالديوان الملكي، وكان من أهداف هذه الدار الرئيسة تخريج دعاة وقضاة للدعوة إلى دين الله، والحكم بين الناس. وكان قبول الطلاب من سن الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين.

وشُكلت لجنة لاختيار الطلاب، فكان منهم الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر لاختيار طلاب القصيم، والشيخ محمد بن راشد لاختيار طلاب الرياض والوشم وسدير. ثم أرسل الملك عبدالعزيز سيارة إلى القصيم لنقل الراغبين في الالتحاق بدار التوحيد، ومنهم عبدالله الصالح الفالح، ولما بحثوا عن شهادته الابتدائية وجدوا أنه لم يحصل عليها كما مر، فأجروا له اختباراً شفهياً فقُبل(١). وانتظم في الدار خمسة وأربعون طالباً يمثلون الدفعة الأولى عام ١٣٦٤هـ(٢).

وكان رئيس الدار الشيخ محمد بهجت البيطار، وكان يدرس التفسير والصرف. ومن أساتذته في الدار: الشيخ عبدالله الصالح الخليفي، وكان يدرس

---

(١) انظر: دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع –شهادات وتجارب بأقلام أبناء دار التوحيد _ لجنة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس دار التوحيد . طبع ١٤١٦هـ(ص٨). والجزيرة – العدد (٨٢٩٤) – ١٤١٦/١/٢٦هـ. ذكريات الـ ٥٠ عاماً في دار التوحيد(ص١١) وانظر: دار التوحيد في ميزان التاريخ . صالح بن غازي الجودي – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ (ص٩) ودار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي . د عثمان الصيني – د عايض الثبيتي – د جريدي المنصوري — لجنة الاحتفال بمرور خمسين عاما على تأسيس دار التوحيد . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ (ص٧٠).

(٢) انظر: الجزيرة — العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ— مقال سابق د. سامي السلمان.(ص٢٣).

الفقه، والشيخ عبد الله المسعري، مدرس التوحيد، والشيخ محمد بن يسار البيطار، والشيخ محمد بن سَيَّاد الفرائضي، وكان يدرس الخط والفرائض[١].

ثم تولى إدارة الدار بعد الشيخ بهجت البيطار ابنه الأستاذ محمد يسار، ثم حلّ محله الشيخ عبدالرزاق الجذيري، قبل أن تُلحق الدار بالمعارف.

وكانت سنوات الدراسة خمساً، وتبدأ كلُّ سنة من محرم، وتنتهي بنهاية شهر شعبان من كل عام، ولكن الطالب المجتهد يسمح له أن يختصرها في أربع[٢]. ومن أولئك: الشيخ الفالح والشيخ محمد ابن جبير. ولم تتوقف المنافسة عند التفوق في الدراسة بين طلاب الدار، بل تجاوزت ذلك إلى التنافس على نوعية القراءة، فكانت القراءة الحرة نهماً لديهم[٣].

وقد وفرت الدار لطلابها سبل الراحة والتفرغ لطلب العلم، ففي بداية تأسيسها كان الطالبُ يُعْطَى ستين ريالاً شهرياً، ثم زيدت عام ١٣٦٨هـ، إلى مئة ريال شهرياً[٤]. وتم استئجار منزلين بجوار مبنى المدرسة بحي قروى غربي الطائف؛ أحدهما لسكن الطلاب القادمين من الرياض والوشم وسدير، والآخر

---

(١) انظر: الجزيرة - العدد (٨٢٩٤) ١٤١٦/١/٢٦هـ- ذكريات ال٥٠ عاماً في دار التوحيد،(ص١١)- وكتاب دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي (ص ٣٧، ٣٨).

(٢) انظر: دار التوحيد في ميزان التاريخ (ص ٩٥). وانظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

(٣) دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي (ص ٨٢).

(٤) انظر: الجزيرة -العدد (٨٢٩٤) - ١٤١٦/١/٢٦هـ- ذكريات ال، ٥٠ عاماً في دار التوحيد.(ص١١).

للقادمين من القصيم وحائل الذين حضروا متأخرين عام ١٣٦٤هـ[١]، وكان ترحيل الطلاب في الذهاب والإياب بواسطة سيارات البريد، وعن طريق وزارة المالية، مع صرف أرزاق لهم في الطريق[٢] .

وقد تخرج في دار التوحيد علماء أجلاء، وقضاة، وأدباء، وأساتذة؛كان لهم نصيب كبير في وضع اللبنات الأولى للتنمية في بلادنا[٣].

وفي يوم ١٣٦٦/٨/٢٩هـ، نشرت جريدة أم القرى أسماء الناجحين إلى الصف الرابع في القسم الثانوي من دار التوحيد، وهم: عثمان بن إبراهيم الحقيل، وعبدالله بن محمد الجبير، وحمد بن محمد الشاوي، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم الجبير، وعبدالله الصالح الفالح. وهؤلاء هم زملاء الشيخ في الدار. أما طلاب الصف الثاني الثانوي فكانوا: عثمان بن سيار، ومحمد بن صالح المرشد، وصالح العذل، وفهد المارك[٤] .

وفي سنة ١٣٦٧هـ كان عبدالله الفالح من المكملين من الصف الرابع الثانوي إلى الخامس، هو ومحمد بن إبراهيم البطحي[٥].

---

(١) انظر: الجزيرة – العدد (٨٢٩٤) ١٤١٦/١/٢٦هـ- ذكريات، الـ ٥٠ عاماً في دار التوحيد من كلام – د. علي التويجري.(ص١١) .

(٢) دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي(ص٩٢) .

(٣) انظر: دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع (ص٨) .

(٤) انظر: أم القرى – العدد. (١١٦٧) ١٣٦٦/٨/٢٩هـ(ص٢) وفهد المارك لم يكمل دراسته.

(٥) انظر: أم القرى – العدد (١٢١٨) ١٣٦٧/٩/٣هـ (ص٢).

وفي عام ١٣٦٨هـ، تخرج عبدالله الفالح في دار التوحيد، ومن دفعته: عثمان الحقيل، وعبدالله الحصين، وحمد الشاوي، ومحمد بن ربيعة، ومحمد بن جبير، ومحمد خالد المدني، وعبدالله الشلاش، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ[١].

ب- في كلية الشريعة:

في عام ١٣٦٩هـ، أمر الملك عبدالعزيز بإنشاء كلية الشريعة بمكة، وكانت الدفعة الأولى من طلبة دار التوحيد قد تخرجت، ومنهم عبدالله الفالح كما مرّ، فالتحقت بكلية الشريعة مكونة الدفعة الأولى بها[٢].

وكان من أساتذتهم في كلية الشريعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ محمد محمد أبو شهبة، والشيخ عبدالرحمن عبدالهادي، والشيخ طه الساكت، والشيخ أحمد القط، وغيرهم[٣]، وكانت المكافأة التي يستلمونها في كلية الشريعة ثلاث مئة ريال شهرياً[٤].

وفي ١٣٧٠/٩/١٦هـ، نشرت نتائج الناجحين من طلاب كلية الشريعة السنة الثانية، وكان منهم: عثمان الحقيل[٥] ، وعبدالله الفالح، ومحمد خالد المدني، وإبراهيم الحجي، وعبدالرشيد عطار، ومحمد الجبير، وعبدالحميد فلمبان، ومحمد بن ربيعة، أما الناجحون في السنة الأولى فهم: سعد أبو معطي،

---

(١) انظر: دار التوحيد في ميزان التاريخ (ص١١٢).

(٢) انظر : دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي(ص٣٠) .

(٣) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

(٤) انظر: المصدر السابق

(٥) لم يكمل دراسته لأنه كان متميزاً، وعُين في القضاء.

وعبدالعزيز المسند، وعبدالرحمن الدخيل، وعثمان بن سيار، وعبدالله بن خميس وغيرهم[١].

وقد اهتمت الصحف آنذاك بأخبار تلك الدفعة، ففي يوم ١٣٧٢/٢/٢٥هـ، نشرت صحيفة المدينة المنورة خبر سفر مجموعة من طلاب عنيزة إلى الحجاز، وهم من طلبة المدارس الثانوية وكلية الشريعة، وهم: عبدالله الصالح الفالح، ومحمد السليمان الشبل، وعبدالله بن عبدالرحمن البسام، وصالح عبد الرحمن البسام، ومحمد بن عبدالله المعتاز، ومحمد بن عبدالرحمن الشامخ، ومحمد المحمد الأصقه، وعثمان الصالح الفريح، وعبدالرحمن بن عبد الله الشهوان[٢].

وفي تلك الفترة أصدر هو وسعد أبو معطي ومحمد خالد المدني جريدة تكتب بخط اليد في بِضْعِ صفحاتٍ، وكانوا ينسخون منها عدة نسخ، يتداولها الطلاب فيما بينهم، وكانت الموضوعات التي تنشر في الجريدة إنشائية لا تُعنى بمضمون محدد، ولما أصدروا العدد الثالث جاءهم أمر من الشيخ محمد ابن مانع بإيقافها دون إبداءِ أسبابٍ لذلك[٣].

وفي شهر شعبان ١٣٧٢هـ، تخرجت أولى الدفعات في كلية الشريعة، وألقى مدير المعارف الشيخ محمد بن مانع كلمة، قال فيها: "إن من حسناتِ جلالة الملك العظيم التي لا تحصى بِعَدٍّ، ولا تُحَدُّ بِحَدٍّ، إقباله على نشر العلم الشريف،

---

(١) انظر: المدينة المنورة – العدد (٣٩٣) – ١٣٧٠/٩/١٦هـ. (ص٢)

(٢) انظر: المدينة المنورة –العدد (٤٥٨) – ١٣٧٢/٢/٢٥هـ. (ص٢)

(٣) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

ومساعدة طلابه بِكُلِّ وسيلةٍ تؤدي إليه، فمن ذلك مدرسة دار التوحيد التي اعترف لها الخبراء بأنها من أرقى المدارس؛ من حيث ترتيب المناهج وذكاء الطلاب وحسن النظام، وقد كانت هذه المدرسة تمدُّ كلية الشريعة كما تمدُّها المعاهد السعودية، ومن لطف الله تعالى أنه قد أكمل الدراسة النهائية في هذه الكلية هذا العام ١٤ طالباً، واستحقوا شهادة العالمية[١].

وناجحو الشهادة النهائية بكلية الشريعة بمكة للدور الأول حسب ترتيب نجاحهم:

عبدالله بن صالح بن محمد الفالح، محمد بن إبراهيم بن عثمان الجبير، عبدالملك بن عبدالرحمن ملا، محمد خالد مصطفى المدني، صالح سالم حامد الكشي، إبراهيم بن محمد الحجي عبدالرشيد محمد عَطَّار، عبدالواحد طاشكندي، محمد بن عبدالعزيز الربيعة، عبدالحميد فلمبان، عبدالحميد عبدالغفور خياط، عبدالله الشلاش، محمد علي عبدالواحد، محمد إبراهيم زاهر[٢].

أخلاقه وصفاته:

كان الشيخ الفالح زاهداً في الدنيا، أشاح عنها بوجهه، وترك زخارفها ومباهجها، وولاها ظهره[٣] مع قدرته أن يكون أحد المبرزين فيها، وكان متواضعاً يحترم غيره، غزير العلم، وواسع المعرفة، وسريع الحفظ، ويتمتع بذاكرة حية

(١) انظر: البلاد السعودية – العدد (١٣٢٨) ١٣٧٢/٨/٢٦هـ.(ص٢)

(٢) انظر: البلاد السعودية –العدد (١٣٢٨) – ١٣٧٢/٨/٢٦هـ(ص٢)

(٣) انظر: الجزيرة – العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ – مقال سابق د. سامي السلمان.(ص٢٣)

وقوية[١]، وإذا سئل كانت إجابته وافية، وهو حاد الذكاء، وحاضر البديهة، ومستوعب للمعلومات، ولكن غلب عليه نكرانُ الذات، وعدمُ حبِّ الظهور إلى درجة مخيفة، فلم يعترف أنه متفوق[٢] ؛ وكان في أثناء دراسته لا يذاكر، ورغم هذا كان زملاؤه يسمونه بالرائد. وكان ذا خط رائع، وقراءة شجية جميلة[٣]، وحديثه لا يملُّ، ومجالسته ثرية بالعلم والأدب[٤].

ولم يكن متكلفاً في حياته، بل عاش حياة بسيطة، قضاها ولم يتزوج[٥] ؛ وكان مرهف الحس، لا يحمل حقداً على أحد، ولم ينتقم لنفسه، وكان يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة[٦].

وذكر الشيخ محمد ابن جبير: أنه غريبُ الأطوارِ، فمع ذكائه كان يحبُّ الانطواء، وكان في دار التوحيد لا ينجح إلا في الدور الثاني، واستمرعلى ذلك في كلية الشريعة أيضاً؛إلا أنه في آخر سنة اجتهد، وصار الأول على دفعته[٧].

---

(١) انظر: الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦) ١٤٣٣/٥/٥هـ –مقال : الشيخ عبد الله الصالح الفالح، الشيخ الذي أفل، خالد بن محمد الهويش.(ص٢٦)

(٢) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ، من كلام أبي قصي إبراهيم التركي، وانظر: الجزيرة –العدد (١١٩٨١) ١٤٢٦/٦/١٣هـ– مقال :الشيخ الفالح والتغني بحب الوطن – د – عبدالله الصالح العثيمين.(ص٢٠)

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦) ١٤٣٣/٥/٥هـ –مقال سابق– خالد الهويش.(ص٢٦)

(٦) انظر: الجزيرة –العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ– مقال سابق _ د، سامي السلمان.(ص٢٣)

(٧) انظر: كتاب الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير– د، عبدالرحمن الشبيلي، (ص٤٥)

وأسهب عبدالعزيز السالم في وصف خلاله وشمائله، فقال: "فمع تدينه العميق وسمته الوقور، فإن مجلسه أنيس، وحديثه رائق، وصوته هادئ، والجلوس معه ماتع لا يملُ، لأنه مفيد، فعلمُهُ غزير، وثقافته واسعة[١].

وأرجع صديقه الشاعر عثمان بن سيار سبب توقفه عن الإنتاج الأدبي واعتزال الناس –أرجعه إلى عارض نفسي أصابه[٢].

ثقافته:

جمع الشيخ الفالح بين العلوم الدينية والعلوم اللغوية والأدبية، فبرز فيها جميعاً، وكان قارئاً نهماً، مغرماً بقراءة المجلات المصرية، مثل: الهلال التي كان يحجزها عند وكيلها في الطائف مصطفى الرسيني، وكان محلُّه في برحة القزاز، وكان وكيلاً لمكتبة الثقافة في مكة، فكان الشيخ عبدالله يحجز عنده كل مصروفه[٣]، وكان يتابع بشغفٍ مجلتي الرسالة والثقافة، يتضح ذلك من رسالته التي بعث بها إلى رئيس تحرير مجلة الثقافة[٤]. وستأتي في توثيق نثره. فضلًا عن

---

(١) انظر: الجزيرة – العدد (١٢٢٤١) – ١٤٢٧/٣/٦هـ –مقال : الناسك الذي عاش في الظل – عبدالعزيز بن عبدالله السالم.(ص١٣) .

(٩) انظر: الجزيرة – العدد (١٢٢٤١) – ١٤٢٧/٣/٦هـ –مقال : الناسك الذي عاش في الظل – عبدالعزيز بن عبدالله السالم.(ص١٣).

(١٠) انظر: المسائية العدد(٣٧) ١٤٠٢/٣/٧هـ اللقاء الذي أجراه محمد الوعيل مع عثمان بن سيار.(ص٤)

(٢) انظر: المسائية العدد(٣٧) ١٤٠٢/٣/٧هـ اللقاء الذي أجراه محمد الوعيل مع عثمان بن سيار.(ص٤)

(٣) انظر: كتاب الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير– د. عبد الرحمن الشبيلي، (ص٤٥)

(٤) انظر: مجلة الثقافة– أحمد أمين – القاهرة – العدد (٦٣٢) ١٣٧٠/٤/٢٨هـ، (ص٣١).

شغفة بقراءة الصحف المحلية التي كانت تصدر آنذاك مثل: البلاد السعودية، والمدينة المنورة[١]، حتى امتلأت غرفته بالكتب والمجلات والصحف المتناثرة.

ولم تكن قراءته قراءة عابرة، بل كان يُدَوِّنُ، ويُعلق على بعض ما يقرؤه من كتب أو مجلات، ويضع تدويناته في الهوامش، وربما جاءت بعض التعليقات شعراً[٢].

وقد تأثر كثيراً بأبي العلاء المعري وخاصة في اعتزال الناس، ويدلُّ على ذلك كثرة اختياراته من شعره الذي يدعو إلى العزلة وترك الخلطة، من أمثال قوله:

بُعْدي عن النَّاس خيرٌ من لقَائِهم وقُربُهم للحجى والدّين أدْوَاء[٣]

وكان معجباً بشعر الشاعر المصري محمود عماد، والشاعر الرومانسي إبراهيم محمد نجا، ويحفظ لهما ولغيرهما الكثير، وقرأ كثيراً لعباس محمود العقاد، وميخائيل نعيمة[٤].

وكان يحرص على حضور الندوات الأدبية التي تعقد في مدرسةِ تحضير البعثات، والمعهد السعودي بمكة، والتي يشارك فيها بعض أدباء الحجاز

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٢٢٣) ١٤٢٨/١١/٩هـ- مقال : (موكب النور) نص عمره أكثر من نصف قرن،- عبدالمحسن الحقيل.(ص٦)

(٣) مسودات أوراق بخط الفالح. (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

(٤) انظر: المصدر السابق،من كلام أبي قصي إبراهيم التركي.

وعلمائها، لأنه كان يقيم في مكة أكثر أيام السنة[١]، بل يحفظ بعض المساجلات التي تمت بين محمد حسن عواد والشاعر حمزة شحاته[٢].

نشاطه الأدبي:

حرص طلاب دار التوحيد على تكوين نادٍ أدبي، يعرضون فيه نتاجهم الأدبي من شعر ونثر، وقصص وتاريخ، فكان منتدى ثقافياً، ومنبراً خطابياً، جمعوا فيه إلى جانب المتعة واللذة والأنس، جانب التثقيف، وصقل المواهب[٣]، وبناء الشخصيات المؤثرة، وكانوا يدعون إليه علية القوم من أدباء وشعراء ومتخصِصين، واختاروا الطالب عبدالله بن محمد ابن خميس، رئيساً للنادي، فطوَّره، ورفع من شأنه، وأعلى من مستواه[٤]. ثم خلفه سعيد بن جندول ثم أعقبه عبدالله البطاح[٥]. وكان من المشاركين فيه: عبدالله الفالح، وعثمان بن سيار، وعبدالله الجبير، ومحمد بن عبدالعزيز الربيعة، وعبدالعزيز التويجري، ومحمد الخيال وغيرهم[٦].

---

(١) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ، من كلام محمد بن إبراهيم البطحي وأبي قصي إبراهيم التركي.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الجزيرة – العدد (٨٢٩٤) – ١٤١٦/١/٢٦هـ – ذكريات الـ ٥٠ عاماً في دار التوحيد.(ص١١)

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: البلاد السعودية – العدد (١١٤٣) ١٣٧١/٥/٢٥هـ (ص٢)، والبلاد السعودية – العدد (١٤٩١) ١٣٧٣/٧/٤هـ.(ص٢)

(٦) انظر: الجزيرة – العدد (٨٢٩٤) – ١٤١٦/١/٢٦هـ – ذكريات الـ ٥٠ عاماً في دار التوحيد.(ص١١)

وكان يقام ليلة الجمعة من كل أسبوع، في الصالة الكبرى بمبنى السكن الداخلي للطلاب[١].

وفي شهر جمادى الآخرة عام ١٣٦٨هـ، شكلت لجنة المسامرات الأدبية من طلاب دار التوحيد برئاسة عبدالله بن خميس، لفحص الكلمات والقصائد التي تُلْقَى، وَعُيِّنَ سعيد بن جندول سكرتيراً للجنة ومساعداً للرئيس[٢].

وفي يوم ١٣٦٩/٦/١٨هـ، أعلن عبد الله بن خميس رئيس النادي أنه عازم على طبع ما ألقوه في النادي من المحاضرات تقديراً لجهودهم[٣].

ومن صور النشاط الثقافي الذي احتضنه هذا النادي، ما أقيم في إحدى أمسياته عام ١٣٦٩هـ، حيث أقيمت مناظرة بين الشعر والنثر، أيهما أجدى على المجتمع، وألصق بالحياة في شتَّى مرافقها؟ وكان رئيس المناظرة الأستاذ محمد نائل، فألقى كلمة، شرح فيها ما للمناظرات من أهمية كبرى في شحذ الأفكار وتنمية الملكات، وكان الطلاب عبدالله بن خميس، وأحمد المنصور، وإبراهيم بن عبدالوهاب في جانب الشعر، وكان سعد أبو معطي، ومحمد المرشد، وعبدالعزيز الربيعة في جانب النثر، وأخذ كل طالب يدلي بحجته. وفي ختام المناظرة ألقى الأستاذ رياض هلال قصيدة، بيّن فيها ما للشعر والنثر من مزايا وفضائل، وأنّ كلًّا منهما متمم للآخر. ثم ألقى المعاون الثاني لدار التوحيد الشيخ نسيب

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المدينة المنورة- العدد (٢٨٩) ١٣٦٨/٦/٩هـ، (ص٢)، والمدينة المنورة- العدد (٢٩٣) ١٣٦٨/٧/٨هـ، (ص ٢).

(٣) انظر: البلاد السعودية - العدد (٩٠٨) ١٣٦٩/٦/٢١هـ.(ص٢)

المجذوب كلمة، ثم ختم مدير المعارف الشيخ محمد بن مانع الحفل بنصيحة قيمة[١].

وكان يحضر تلك الحفلات وكيل أمير الطائف ناصر بن معمر ومدير المعارف الشيخ محمد بن مانع ورجال العلم والتعليم وأساتذة الدار، كما يحضرها طلاب من كلية الشريعة في مكة بعد إنشائها، ومنهم الفالح، وتلقى فيها الكلمات والقصائد، وتقدم التمثيليات، ووعادة ما يستغرق الحفل قرابة الساعتين[٢] .

والغالب أن يكون الحفل عبارة عن فقرات تتوالى، ومثال ذلك ما أقيم في إحدى الليالي، حيثُ بدئ الحفل بالقرآن الكريم، ثم كلمة بعنوان: النظم السماوية، ألقاها عثمان الحقيل، وأعقبتها كلمة لمحمد المرشد، وعنوانها: عند الصباح يَحْمَدُ القوم السرى، تلتها محاضرة عن الشاعر جرير، ألقاها عبد الله الحصين، وبعده ألقى عبدالعزيز التويجري كلمة تحت عنوان: حديث مع الزميل، ثم قام بعض الطلبة وألقوا نشيداً مطلعه: "هذه رؤوس الروابي".

ثم استؤنف الحفل بكلمة لعلي التويجري، عنوانها: نعي ووداع، وألقى عبدالله الحقيل قصيدة: استنهاض الشباب، ثم جاء دور عبدالله الفالح في زاويته المعتادة عدسة المعنويات، تلاها كلمة بعنوان: نظرة في رياض العلم، لعبد الله الوهيبي،

---

(١) انظر: المدينة المنورة – العدد (٣٣٢) – ١٣٦٩/٦/٤هـ. (ص٤).

(٢) انظر: البلاد السعودية– العدد (١١٣٥) ١٣٧١/٥/٧هـ، (ص٣)، انظر: البلاد السعودية– العدد (١٣٠٥). ١٣٧٢/٧/١هـ،(ص٣)، انظر: المدينة المنورة –العدد (٣٣٢) في ١٣٦٩/٦/٤هـ، (ص٤).

ثم ألقى حمد الصالح قصيدة: عنوانها الفضيلة، بعدها ألقى بعض الطلبة نشيد: نحن جند الله، ثم ألقى محمد بن إبراهيم كلمة عن الشباب، وأعقبه سعيد الجندول بكلمة بعنوان: الزائر المجهول، وبعدها قدم بعض الطلبة تمثيلية هادفة. وألقى رئيس النادي قصيدة عنوانها: إلى الروض أيتها البلابل.

ثم تقدم محمد بن خربوش، وألقى قصيدة مخمسة بعنوان: ومضات، نيابة عن قائلها عبدالله الفالح، ثم ألقى الأديب حسن بن عبد العزيز كلمة عنوانها: شخصية زميل، كما ألقى سعد أبو معطي كلمة بعنوان: واعاماه.

وأعقبه نشيد مطلعه:

أنا مهما نأت بي الدار

وخُتم الحفل بتلاوة آي من القرآن الكريم.

وعادة ما يَختم النادي الأدبي فعالياته قُبيل الاختبارات حتى يستعد الطلاب للمذاكرة(١).

وكان للشيخ عبدالله الفالح زاوية معتادة في كلّ حفل كما مرّ قبل، عنوانها: عدسة المعنويات، وفي أول حلقة ألقاها كان عنوانها: هم أولاء كما عرفتهم، (في فوتغراف المعنويات)(٢)، وكان يحلل فيها شخصية من الشخصيات البارزة في دار التوحيد، سواء أكانت من الطلاب أم من المدرسين، فيورد في تلك المشاركة جوانب القوة والضعف في تلك الشخصية من حيث الملاحظة الدقيقة،

(١) انظر: المدينة المنورة -العدد (٢٩٣) ١٣٦٨/٧/٨هـ(ص٢)

(٢) ورقتان مخطوطتان بيد الشيخ، حوتا الحلقة الأولى من هذه الزاوية. من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية.

ويسردها في قالب فكاهي، حتى إن صاحب تلك الشخصية المتحدَّث عنها يتفاجأ بما يُذكر عنه.

قال الشيخ عبدالعزيز المسند: "ولو وقفنا عند هذا العنوان لوجدنا العجب العجاب، فمن أين لهذا الرجل الذي لم يبرح مدينته هذا الشعور، وذلكم الإدراك والتعبير بالعدسة التي هي جزءٍ من آلةِ التصوير، ونسبتها إلى المعنويات، يُدِلُّ على عمق التفكير والغوص إلى أسرار المعاني، وفي ذلك الوقت كلنا لا نعرفُ آلة التصوير (الكاميرا) ولم نرها... "[1]

وقد ذكر الفالح في مقدمته لهذه الزاوية تعريفاً بها، يقول: هذا عنوان نريدُ أن نقدم به كل أسبوع شخصية من شخصيات زملائنا الكرام، نذكر فيها مالهم وما عليهم على سبيل الإجمال، وسيكون ذلك كما عرفهم كاتب هذه السطور وحسب، وقد يكون ما يخفى عليه منهم كثيراً من الناحيتين، وأعني به ناحيتي القوة والضعف في الشخصية، كما أنه سيتوخى الإنصاف في غير ما مداجاة ولا مجاملة؛ إذ هذا هو واجبُ كِّل ذي ضمير حر، لا يريد إلا الحقيقة، وهي ما تقتضيه الإنسانية السامية، وتحتمه الصفات المثالية، وكل ما نريده هو أن يعرف من نقدمه أننا لا نقصد إلا الخير والصلاح، وأننا نأخذ بمبدأ المساواة، فليحسنوا الظن، وليولونا شيئاً من الثقة والاطمئنان، وعسى ألا نجد منهم من يشك في حسن قصدنا، وهذا هو ما نرجوه، أو بالأحرى نعتقده[2].

---

(١) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع، (ص٢٦).

(٢) المصدر السابق.

ثم ذكر أنه سوف يبدأ بنفسه في أولى حلقات زاويته حتى لا يعترض معترض، يقول: "وتحقيقاً لما قد ذكرنا رأى الذي سيقوم على هذه التحليلات أن يبدأ بنفسه، وإن كان من الحق أن يتأخر عن غيره ممن هم أولى بالتقديم، ولكن آثر ذلك ليضرب بنفسه مثلاً لغيره، وليكون أنموذجاً صادقاً، وبالتالي لينتصف من نفسه قبل غيره، وإن كان في هذا متهماً، ولكن إخوانه عرفوه، وسيستمعون لما يقوله".

وكأنه قد تنبأ بما ستؤول إليه زاويته هذه، التي استمرت تعرض كل أسبوع، حتى أوقفت عندما تناول الفالح إحدى الشخصيات فثارت ثائرته، وأُوقِفت تلك الزاوية، يقول:

"فإن كان مجافياً للحقيقة فليوقفوه عند حده، ويعرفوه بنفسه، وهو بذلك راض وسيتقبلُهُ بكل امتنان ورحابة صدر"(١).

ثم شرع يتحدث عن نفسه قائلاً: "وعسى أن يجد الشجاعة الكافية ليقدم نفسه كما هي بغير زيادة ولا نقصان، ليسلم من التهمة، وليخرج من المسؤولية فليكن ذلك:

"عبدالله الصالح الفالح، لا أتعرض لسني عمره، كبيراً كان أم صغيراً، فليس هذا من شأني، وما أنا من المشغولين بالماديات كهذه، وإن كان متقدماً في العمر نسبياً؛ أتدري ماذا أريد بهذه النسبية، ؟ هي النسبة إلى زملائه في

(١) المصدر السابق.

المدرسة... "[1]. وقدعثرت على نصين كاملين يمثلان هذه الزاوية، سيأتين في نصوصه النثرية.

عمله الوظيفي:

لما تخرج الشيخ عبدالله في كلية الشريعة طلب منه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن يكون قاضياً في الرياض، فاعتذر، فطلب منه أن يكون مدرساً في معهد عنيزة العلمي، فاعتذر أيضاً؛ لأنه كان يرغب في سكنى مكة المكرَّمة، فعينه الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف آنذاك مدرساً في المعهد العلمي السعودي بمكة[2].

والمعهد قديم النشأة وقد أسسته الحكومة بعد فتح الحجاز بقليل، وفيه تَخَرَّج حمد الجاسر، ثم تحول هذا المعهد إلى معهدٍ للمعلمين، لما حرصت الحكومة على تخريج المعلمين[3]. وكان أول راتب تقاضاه عندما درّس في المعهد (٧٠٠ ريال)، وظل يدرس في المعهد مدة، ثم صار أميناً للمكتبة في المعهد نفسه، وبعدها انتقل إلى وظيفة أمين مكتبة في المدرسة الرحمانية المتوسطة التي تقع بالقرب من الحرم المكي، وكانت المكتبة متواضعة، ثم تحول إلى مكتبة المعارف العامة،

وظل بها حتى تقاعد سنة ١٤٠١هـ[4].

---

(١) باقي النص غير موجودٍ.

(٢) معجم أسر عنيزة، (١٨٥/١٢)

(٣) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

(٤) انظر: المصدر السابق.

بعد تقاعده:

تقاعد الشيخ سنة ١٤٠١هـ، وعاش بعدها في عزلة، وخاصة في مكة، يقضي الشتاء والربيع فيها، ويقضي الصيف في عنيزة[١] ، وكانت له جلسات خاصة، يجتمعُ فيها مع بعض أصفيائه الذين يرتاح إلى مجالستهم، مثل: صديقه الشاعر المربي محمد بن سليمان الشبل، ومحمد بن إبراهيم البطحي، ومحمد الصالح الرعوجي[٢]، وكان مجلسه ثرياً يجمع بين الأدب والفكاهة[٣]، وكانت والدته ترعى شؤونه إذا قدم إلى بلده عنيزة، ولما توفيت سنة ١٤٠٣هـ، تقريباً تضاعفت مأساته، وتكالبت عليه الهموم[٤]،

والتف حوله بعض طلبة العلم، وقرأوا عليه كتباً في النحو والتصريف[٥] ، وأصيبت عيناه بمرض، لم يعالجه في حينه، فأدَّى ذلك إلى فقدانه بصره كلياً سنة ١٤٢٢هـ[٦]، فاشتدت مأساته، وازدادت عزلته، وسكن في منزل طيني قديم في إحدى المزارع، لا يوجد فيه من متاع الدنيا شيء يذكر، وأصبح شبه معتكف

---

(١) انظر: معجم عنيزة (١٩٩/١٢)

(٢) انظر: الثقافية (ملحق الجزيرة)- العدد (٣٠٩)، ١٤٣١/٥/٢٢هـ -مقال : الغائب في صمته، د. إبراهيم بن عبدالرحمن التركي.(ص٣)

(٣) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

(٤) انظر: الثقافية (ملحق الجزيرة) -العدد (٢٢٣)، ١٤٢٨/١١/٩هـ مقال سابق . عبدالمحسن الحقيل.(ص٨) وانظر: الرياض - العدد (١٥٩٤١) ١٤٣٣/٣/٢٣هـ ، وفاة الشيخ الفالح.(ص١٦)

(٥) انظر: معجم عنيزة ، (١٩٩/١٢).

(٦) انظر: الثقافية- العدد (٢٢٣)، ١٤٢٨/١١/٩هـ،-مقال سابق . عبدالمحسن الحقيل.(ص٨)

في جامع الشيخ محمد بن عثيمين. ثم أصيب في آخر حياته بآلام في الظهر، ربما حرمته من أداء الصلاة في المسجد[١] . إلا أنّ الله قيَّض له رجلاً وفياً، اسمه: إبراهيم المهنا التركي، لازمه مثل ظِله، يقوده للمسجد، ويرعى شؤونه حتى توفي يوم ١٤٣٣/٣/٢٢هـ، وصُلِي عليه في جامع الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله[٢]، عن عمر ناهز التسعين سنة، أسكنه الله فسيح جناته.

قالوا عنه:

١) قال عنه الشيخ محمد بن جبير: "الشيخ عبدالله الفالح زميل لي في دار التوحيد، وكانت لي به علاقة طيبة، وهذا الشخص غريب الأطوار، فمن الناحية العلمية برز لديه حصيلة علمية كبيرة خاصة في علوم اللغة العربية والبلاغة والعلوم الدينية... تحصيله وكفاءته العلمية فذة، ولافتة للنظر في كل الفنون التي ندرسها، ولكنه كان منطوياً"[٣].

٢) وذكر عنه أيضًا: "كان الطالب عبدالله الفالح يقدم كل ليلة من ليالي النادي تحليلا لشخصية كل طالبٍ من طلاب الدار تحت عنوان "عدسة المعنويات تلتقط صورا لهؤلاء "وقد بدأ بنفسه وحَلَّل شخصيته، وكان تحليله هذا يشدّ الانتباه، ورُبَّما يضحك أحياناً عندما يتعرضُ إلى موقف طريف"[٤].

---

(١) انظر: الجزيرة- العدد (١٥٦٩٦)، ١٤٣٦/١٢/٥هـ – مقال سابق ـ د: سامي السلمان. وانظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

(٢) الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦) ١٤٣٣/٥/٥هـ- مقال سابق ـ خالد الهويش.(ص١٩)

(٣) كتاب الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير- د. عبد الرحمن الشبيلي، (ص٤٤)

(٤) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع،(ص٨)

٣) ووصفه الدكتور عبد العزيز الخويطر، بأنه: "عبقري لا يجارى، وظهرت عبقريته واضحة عندما التحق بمدرسة دار التوحيد بالطائف، فكان أعجوبة في الذكاء وقوة الذاكرة، وسرعة التحصيل"(١).

٤) وقال عنه عبد العزيز بن عبد المحسن آل الشيخ: "الأستاذ الفاضل عبدالله صالح الفالح، وسميته الأستاذ؛ لأنه يدرسنا، ونحن طلابٌ في القسم الداخلي أو في مسجد الدار، ويحلُّ الخلاف العلمي بين المدرسين"(٢).

٥) ووصفه أيضًا فقال: "وكان لزميلنا وشيخنا عبدالله الصالح الفالح، وأقول شيخنا لأنه كان يدرسنا -وهو طالب معنا -ويُنْهِي الإشكال بين المدرسين في اللغة العربية وغيرها من العلوم. كان لزميلنا المذكور نشاط مفيد، ولديه برنامج خاص اسمه: عدسة المعنويات، يلتقط صوراً لهؤلاء (يعني المدرسين والطلاب)، وكان غاية في الفائدة والمرح وسلامة الصدر"(٣).

٦) وقال عثمان بن سيّار عنه: "كان فلتةً في كل شيءٍ، وعلي الأخصِّ في النقد والشعر والكتابة النثرية، إلاَّ أنه أصيب بعارض نفسي؛ فانصرف عن الأدب"(٤).

---

(١) وسم على أديم الزمن (٣٦٣/١).

(٢) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع،(ص٣٧)

(٣) المصدر السابق،(ص٤٠)

(٤) المسائية: العدد -(٣٧)، ١٤٠٢/٣/٧هـ، (ص٤)

٧) قال عنه زميله الأستاذ عبدالعزيز السالم –عندما كان طالباً في دار التوحيد–: "إنه شيخ في هيئة تلميذ، وعالم في صورة طالب"(١).

٨) أما الدكتور عبد الله العثيمين، فقال عنه: "كنت وزملائي في المعهد العلمي في عنيزة، نفرح كثيرا إذا قدم إليها في إجازة الصيف؛ لأننا كنا نرتوي من علمه الغزير، ونستمتع بتعليقاته وملحه اللطيفة"(٢).

٩) وقال عنه إبراهيم بن عبد الله التركي: "كنا نقتنص الفرص لنجلس معه بعض الوقت، فكان يوجهنا ويتحفنا(٣). وفي موضع آخر يُجلي لنا عن إيثاره للعزلة، وسعة علمه، وتنوع معارفه، فقال: "عالم يشار إليه حين يَحِلُّ ذكره، غير أنه اعتزل الناس مبكراً، وانكفأ على عمل رسمي يلائمه. وهو فقيه وشاعر ومحدث، عرف بذكائه وسرعة بديهيته"(٤).

١٠) أما الدكتور سامي السلمان فذهب إلى وصف بعضٍ من خُلقه في الزهد والتواضع، فقال عنه: "لقد ملأتِ القناعة قلب الشيخ، فأعرض عن متع الدنيا كلها، فرضي منها بميسور العيش، واكتفى منها بما يقيم أوده، ويحفظ

(١) انظر: الجزيرة – العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ– مقال سابق د. سامي السلمان.(ص٢٣)
(٢) الجزيرة،–العدد (١١٩٨١) ١٤٢٦/٦/١٣هـ،– مقال سابق د. عبد الله العثيمين.(ص٢٠)
(٣) اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.
(٤) انظر: الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٣٠٩) ١٤٣١/٥/٢٢هـ–مقال سابق د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي،(ص٣)

عليه حياته، فعاش الشيخ فيها حصوراً ورعاً قانعاً زاهداً متواضعاً إلى حد الإزراء بالنفس ونكرات الذات"[١].

١١) ووصف محمد السليمان الشبل شعره، فقال: "لا تزال تَرِنُّ في أذني قصائدك الحلوة، وأبياتك العذبة الجذَّابة، هل من عودة لها"[٢].

١٢) وعن شعره أيضًا قال الشيخ محمد الهويش: "شعره قوي ولو أراد لتكلَّم وأجابك شعراً على السليقة"[٣].

١٢) ويبرز الدكتور علي بن محمد التويجري قيمة برنامج عدسة المعنويات للفالح، فقال: "وكان الأستاذ عبدالله الصالح الفالح له زاوية في البرنامج، سَمّاها: "عدسة المعنويات تلتقط صوراً لهؤلاء" يعرض فيها شخصية من شخصيات الطلاب يُعَدّدُ سلبياته وإيجابياتهِ، وكنا ننتظرُ هذا الباب بفارغ الصبر، لنعرف عن زميل طباعه ومثالبه"[٤].

١٤) ويوضح عبد المحسن الحقيل تفضيل الفالح للعزلة وانصرافه عن التدوين والنشر، فقال عنه: "اسم يحضر بهدوء ودون جلبة، ولكنه يثبت في الذاكرة، رجل يملك الكثير، ولكنه يفضل التواري، هو من الذين تأبى الذاكرة نسيانهم،

---

(١) انظر: الجزيرة- العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ- مقال سابق د، سامي السلمان.(ص٢٣)

(٢) الجزيرة – العدد (٨٤٥٠) ١٤١٦/٦/٢٤هـ- لقاء مع محمد السليمان الشبل.(ص٨)

(٣) انظر: الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦٩)، ١٤٣٣/٥/٥هـ – مقال سابق . خالد الهويش.(ص١٩)

(٤) دار التوحيد: نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع،(ص٥٥).

ولكنه يأبي التدوين لنفسه، وله آراء مهمة، ولكنه لا يدون، وإن دوّن فلا ينشر"[١].

١٥) ويصفه الحقيل بأنه: "هو رجل ذو روح طريفة، ومجلسه فيه الكثير من الطرافة والملح، لا سيما إذا كان الجلساء ممن يرتاح له، ويحسن إثارة الأسئلة الموجهة له"[٢].

* * *

(١) انظر: الثقافية (ملحق الجزيرة) -العدد (٢٢٣)، ١٤٢٨/١١/٩هـ- مقال سابق . عبدالمحسن الحقيل.(ص٨)

(٢) انظر: المصدر السابق.

مواقف من حياته:

١ـ روى الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله العبدان الملحق الثقافي بالعراق ومصر سابقاً، والذي كان قد التحق بدار التوحيد سنة ١٣٦٦هـ، وتخرج فيها عام ١٣٧٠هـ[١] أنه في أحد الاجتماعات التي يعقدها الشيخ محمد بهجت البيطار مدير الدار؛لإلقاء بعض النصائح والإرشادات على أبنائه الطلاب، دعا المراقب عثمان عجاج[٢]بقوله: يا عثمان، هل الشيخ الخليفي حضر؟ فأجابه عثمان عجاج بقوله: لَمْ حزر يا أستاذ، فضجَّ الطلاب بالضحك. فنظم عبدالله الفالح –وكان حاضر البديهة – هذين البيتين على سبيل الطرفة:

وجوزوا دخول لم على المضي

كما تقول: لم أتى، ولم رضي

وهذا في لغة العجاج

لكونها واضحة المنهاج[٣]

---

(١) انظر: الجزيرة – العدد (٨٢٩٤) – ١٤١٦/١/٢٦هـ– ذكريات ال، ٥٠ عاماً في دار التوحيد(ص١١).

(٢) عثمان عجاج: مراقب في الدار, ثم أصبح فيما بعد محاسباً للشؤون المالية بالدار.انظر المدينة – العدد (١١٧٥٧) – ١٤١٦/١/١٦هـ– مقال : دار التوحيد في عيون الأدباء ورواد الكلمة (ص٨) وانظر: دار التوحيد في ميزان التاريخ (ص١٠٦)

(٣) انظر: الجزيرة – العدد (٨٢٩٤) ١٤١٦/١/٢٦هـ– ذكريات ال ٥٠ عاماً في دار التوحيد (ص١١). وانظر: المدينة العدد (١١٧٥٧) – ١٤١٦/١/١٦هـ دار التوحيد في عيون الأدباء ورواد الكلمة (ص٨): وانظر: دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي (ص٧١).

(من الرجز)

ورواها أيضاً د. عبدالله العثيمين بنحو من ذلك[١] وكذلك د. محمد بن سعد الشويعر[٢].

وهناك رواية أخرى للقصة ذكرت أنه في أثناء دراسته في كلية الشريعة بمكة، كان يقرأ مجلة أدبية في أحد دروس النحو، وفاجأه الأستاذ بقوله: لِمَ لَمْ تكن معنا يا شيخ عبدالله؟ فرد قائلاً: أنا معكم يا أستاذ، وقد ذكرت لنا أن (لم) لا تدخل على الفعل الماضي؛وهذا يخالف ما قاله الناظم:

وجوزوا دخول (لم) على المضي
كـ (لم) دعا ولم سعى ولم رضي.

فما توجيه ذلك يا أستاذ؟

فتوقف الأستاذ عن الإجابة، ولما انصرف من الكلية شرع يبحث في شروح الألفية وحواشيها عن هذا البيت، فلم يعثر على شيء، فرجع إلى الشيخ عبدالله، وقال: أين ذكر الناظم ذلك البيت؟ فقال الشيخ: أنا ذكرته تخلصاً [٣].

ولعل الرواية الأولى هو الصحيحة؛ لأنها من رواية الشيخ عبدالعزيز العبدان وهو من طلاب دار التوحيد[٤]. ولأنها مرتبطة بشخصية كانت تعمل في الدار وهي شخصية المراقب، كما أن في الرواية الأخيرة خروجاً عن آداب طالب العلم، والشيخ يبعد عن ذلك.

---

(١) انظر: دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي،(ص٧١)

(٢) انظر: الجزيرة – العدد (١١٩٨١) ، ١٤٢٦/٦/١٣هـ- مقال سابق د- عبدالله العثيمين.(ص٢٠)

(٣) انظر: الجزيرة – العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ – مقال سابق، د. سامي السلمان.(ص٢٣)

(٤) انظر: دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي، ص (٧١).

٢ـ أقامت المدرسة السعودية النموذجية بعنيزة في ١٣٧٢/٢/١هـ، حفلة كبرى بمناسبة انتقالها إلى مبناها الجديد، الذي تفضل بإنشائه آنذاك ولي العهد الأمير سعود، وتعهد بإنجازه وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان. وقد حضر الحفل كثير من أعيان البلاد ووجهائها، وفي مقدمتهم: أمير عنيزة عبدالله الخالد السليم، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وقاضي البلاد الشيخ عبد الله ابن عقيل، وقدّم الحفل عبدالله الجلهم، حيث بدِئ الحفل بتلاوة من القرآن، تلاها عبدالله الفالح، ثم ألقى عبدالله البسام قصيدة، ثم ألقى مدير المدرسة عبدالرحمن العليان كلمة الحفل، ثم ألقى عبدالله الصالح الفالح قصيدة: (موكب النور) وستأتي، ثم ألقى محمد السليمان الشبل قصيدة عنوانها (فجر جديد) : يقول فيها:

لم تكن غير هشيم دارسٍ
يزحفُ الكونُ على شوك هواها
لاح في آفاقها اليوم صدى
وَتَغَنَّى بين أحضان كراها
شقَّ للعِلم سبيلاً خالداً
وبنى للمجدِ صَرْحاً لا يضاهى
بُورك العِلمُ، فكم من أمة
هزَّت الكونَ بما صَاغت يداها.

(من الرمل)

وألقى حمد العبدلي كلمة، ثم ارتجل الشيخ عبدالرحمن السعدي، كلمة شكر فيها المشرفين على الحفل[١].

وكان المشرفون على هذا المناسبة قد عرضوا على الفالح أن يلقي كلمة، فاعتذر إليهم، وألحوا عليه، وقالوا: سوف يطرح اسمك في أثناء الحفل لتلقي ما شئت، وفي صبيحة ذلك اليوم رآه إبراهيم بن عبدالله التركي يدون في ورقة، وبعد أن فرغ منها ذهب وتوضأ، وقصد المدرسة، وألقى قطعة من النثر الرائع، أتبعها بقصيدته التي أشرنا إليها سابقاً[٢].

٣ـ قيل: إن مدرس الإنشاء لامه على عدم اهتمامه بدرسه، فما كان منه إلا أن أتى إليه بعد يوم أو يومين، مالئاً كراستين عن الحرب والسلام من إنشائه[٣].

٤ـ روي أنه كان يقرأ جريدة في آخر الفصل، وكان الأستاذ يشرح درساً في القواعد، فلما سأله الأستاذ عما شرح، أملى عليه كل ما ذكره[٤].

---

(١) انظر: المدينة المنورة –العدد (٤٥٨) – ١٣٧٢/٢/٢٥هـ – والبلاد السعودية – العدد (١٢٤٩) ١٣٧٢/٢/١٨هـ.

(٢) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ، من كلام أبي قصي إبراهيم التركي، وانظر: الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٢٢٣) ١٤٢٨/١١/٩هـ مقال سابق_ عبدالمحسن الحقيل.(ص٨)

(٣) انظر: الجزيرة – العدد (١١٩٨١) ١٤٢٦/٦/١٣هـ – مقال سابق د. عبد الله العثيمين.(ص٢٠)

(٤) انظر: اللقاء الشفهي الذي أجراه محمد القشعمي مع الشيخ.

٥ـ سافر الشيخ عبدالله إلى مصر مرة واحدة لرؤية والده المقيم هناك، وفي أثناء تلك الزيارة زاروا إسطبل الشيخ فوزان السابق رحمه الله، وكان يجتمع فيه بعض العقيلات.(١)

٦ـ كان الشيخ يتأخر في الوضوء، وربما أقيمت الصلاة وهو يتوضأ، وذات يوم عندما هَمّ بدخول جامع الشيخ محمد ابن عثيمين قابله الناسُ خارجين، فقال على البديهة:

إذا العُمري عجَّل بالأذان

وجاءَ الشيخُ يعْدو كالحصانِ

فلا تعجبْ إذا فاتتْ صلاةٌ

تولّى أمرَها المستعجلانِ

(من الوافر)

ويقصد بالمستعجلين؛ الشيخ محمد ابن عثيمين، والمؤذن الشيخ عبدالله العمري. ولما بلغ هذان البيتان الشيخ ابن عقيل أتمهما بقوله:

خصوصاً للموسوس في وضوء

مجاوزاً الثلاث إلى الثمان

فلو أن قد تعوذ شرَّ نَفْسٍ

ووسواس وُقِي شر التواني

(١) المصدر السابق.

وعارض هذين البيتين الشيخ سامي بن محمد الصقير – وهو من طلاب الشيخ محمد بن عثيمين – فقال:

فبادِرْ بالحضور إلى صلاة
ودَع عنك التشاغلَ والتواني
تأهب للصلاة قُبيل وقت
وأسرعْ في مجيئك كالحصان
لإدراك الصلاة وراء شيخ
يُصلي الفرض من حيث الآذان

وأجابه ثالث بقوله:

إمامٌ راضه في ذا ابن سعدي
وما روضُ الأصيل سوى الهجان
مجيء الشيخ محفوظٌ بوقتٍ
دقيقٍ دونه حدُّ السنان
ولكن فاتك النظر الكليل
فغرّك في الدقائق والثواني

وأجابه الشاعر الشيخ إبراهيم بن حمد الجطيليّ بقوله:

إذا العمريُّ بكَّر في الأذان
وجاء الشيخ يعدو كالحصان
فلا تعجب إذا فاتت صلاة
تولى أمرَها المستعجلان

فأكملت الكلامَ بغير نَظْمٍ
على الأوزان من دون التواني
إذا نادى المؤذنُ قُمْ فبادر
توضأ عاجلاً قَدْرَ الثواني
دع الوسواسَ فهو له بلاءٌ
يهدُّ الروح يا أهل الأمان
تَشَهَّدَ بعد ذاك جُزِيت خيراً
بقلب صادقٍ باب الجنان
فمن عهد الطفولة أنت فَهْمٌ
وَحِفْظٌ للعلوم وللمعاني
فأما في الشتاءِ ففي الحجاز
وفصلُ الصيف في جوز [1]المباني
فلستُ بناظم عذب القوافي
ولست بشاعرٍ بالشعر هاني
فشعري ناقصٌ بل إن فيه
أحاديثاً ألا والعمر فاني
هما العمري والفياض كلاً
له صوتٌ يجلجل في الأذان

(١) الجوز أحد أحياء عنيزة.

وجامعنا له سبع قرون

بسبع مائة أيا صافي الجنان

ومن بعد الصلاة مع السلام

على المختار عنوان البيان[١]

٧- قال عبدالله بن عبدالعزيز السالم: كان الشيخ يشتري المجلات والصحف من مكتبة الثقافة، الواقعة بباب السلام في الحرم المكي؛ وفي حصواتِ المسجد الحرام في ذلك الحين كنا نتناقش ونتداول ما يطرح من آراء وأفكار فيما ينشر من مطبوعات أو صحف أو مجلات، فنقضي ما بين صلاتي المغرب والعشاء في مداولات ثقافية هو المتجلي فيها وأنا المستفيد[٢].

٨-ومن المواقف التي تدل على تواضعه وتفضيله للانطواء والعزلة، ما رواه الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، أنه كان يُدير ندوة أقيمت في مركز ابن صالح، وأُخبر أن الشيخ الفالح ضمن الحضور، ويجلس في الصفوف الخلفية، وبعد انتهاء الندوة، أثنى د ـ إبراهيم على الشيخ الفالح، وشكر له حضوره، وطلب منه التعليق، وأحضر (المايكرفون) إليه ليتكلم، فكان مُطْرِقَ الرأس لا يرفعه، فحاولوا معه؛ ولكن أخلد إلى الصمت ولم يجبهم[٣].

---

(١) انظر: معجم عنيزة/ (١٩٣/١٢).

(٢) الجزيرة – العدد (١٢٢٤١) ١٤٢٧/٣/٦هـ، مقال سابق – عبد العزيز السالم.(ص١٣)

(٣) انظر: الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٣٠٩) ١٤٣١/٥/٢٢هـ- مقال سابق د . إبراهيم بن عبدالرحمن التركي.(ص٣)

٩-ومن مواقفه الدالة على تحليه بروح الدّعابة، أنه عندما نُشِرَت أسماء الخريجين في كلية الشريعة، وكان اسمه يتصدر القائمة؛ لأنه الأول، هَنَّأَه صديقه الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالله السالم بذلك، قال: أنا الأول في نهاية القائمة[١].

١٠-كان بعض الأساتذة عندما كان يطرح عليه السؤال، لا يكلمه باسمه المجرد، وإنما يُضْفي عليه لقب الشيخ، فهو شيخ في هيئة تلميذ، وعالم في صورة طالب[٢].

١١-عندما عمل لم يسأل عن راتبه، فإذا لم يهتم أحدٌ من محبيه باستلامه، فإنه لا يسأل عنه، ولا يطالبُ به، وهو يعيش على الكفاف، ويقتنع باليسير[٣].

١٢-لما تجاوز عمره الثمانين، تذكر أحد زملائه في كلية الشريعة بمكة، فقال لملازمه إبراهيم المهنا التركي: أريدُ أن أصل فلانا؛ ولكن لا أدري أين يسكن الآن؟ فقال له إبراهيم: وما حاجتك به؟ قال الشيخ: كنت جالساً مع بعض الزملاء في يوم من الأيام نتحادث ونتحاور، ودخل علينا ذلك الزميل حاملاً معه بعض الكتب، فقلتُ له: ما هذه الأسفار التي تحملها؟ فقال أحد الحاضرين – سامحه الله –: يقصد أبو صالح الآية في سورة الجمعة. فضحك مَن في المجلس. يقول الشيخ عبدالله: وما كنت أقصد ذلك، وأخشى أن يظنَّ بي ذلك. فأريد أن أبيّن له حقيقة الأمر، يقول إبراهيم المهنا: فسألت عن الرجل حتى عرفت أنه يسكن في مدينة قريبة من عنيزة، فأخذت الشيخ، وقمنا بزيارة ذلك الرجل، وكان على فراش المرض، فسلمنا عليه، وذكّره الشيخ بتلك القصة

(١) انظر: الجزيرة، العدد (١٢٢٤١) – ١٤٢٧/٣/٦هـ – مقال سابق – عبدالعزيز السالم.(ص١٣)

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

فذكرها، وبيّن له أنه لم يقصد الإساءة إليه، واعتذرَ منه، فقبل عذره، وسُرَّ المريض بما سمع. ولما خرج الشيخ مع إبراهيم كان الفرح بادياً على وجهه، وكأنه قد ألقى عن كاهله حملاً ثقيلاً[١].

١٣-أما عن مواقفه الدالة على زهده وقناعته وانصرافه عن متاع الحياة ورضاه بما قسم الله له، فهي كثيرة، منها ما ذكره ملازمه إبراهيم المهنا التركي أنه لما ذهب به إلى الطبيب، من أجل الكشف على عينيه، فأخبره الطبيب أنّ بصره قد ذهب، فما زاد الشيخ على أن قال: الحمد لله[٢].

١٤ -ومنها أنّ الشيخ انقطع عن أداء صلاة الجماعة في المسجد بسبب مرض ألمَّ به، فسأل عنه أحد جماعة المسجد من أهل التقوى والورع، فَدُلَّ على بيته، فقام بزيارته، ولما رأى بيت الشيخ، وهو خال من متع الدينا وزينتها، بكى ذلك العابد، فلما دخل على الشيخ في غرفته، رآه منطرحاً على فراشه خائر القوى، فتأثر الزائر لمرآه، وسأله عن صحته. والبكاء يخنقُ صوته، فردَّ عليه الشيخ قائلاً: أهلاً أبا فلان، أنا بخير ونعمة، ولكنّ ألمَ الظهر أقعدني، والحمد لله على كل حالٍ[٣].

١٥- قام الأستاذ محمد بن عبدالرزاق القشعمي بإجراء لقاء نادرٍ مع الشيخ في جامع الشيخ عبدالرحمن السعدي، بعد ظهر يوم ١٤١٩/٢/٢٩هـ، واستطاع انتزاع بعض المعلومات عن الشيخ وأسرته ودراسته. وقد استفدت من هذا اللقاء في هذا البحث، وهو ضمن محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية.

---

(١) انظر: الجزيرة – العدد (١٥٦٩٦)، ١٤٣٦/١٢/٥هـ - مقال سابق -د. سامي السلمان.(ص٢٣)

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

شعره:

امتلك الفالح موهبة شعرية قوية أسهم في تكوينها قريحةٌ طَيِّعة، وذهنٌ متوقد، وذكاءٌ متميز، واطلاعٌ واسع، وذاكرةٌ قوية؛ فأخذ يكتب قصائد رومانسية جميلة، أشاد بها النقاد، وأعجب بها متذوقو الأدب. ولكن تلك الموهبة سرعان ما انطفأت، وآثرت العزلة، واختارت الانزواء، فتلاشى حلم مولد شاعر قد يعانق الشعراء المشهورين، وذلك الانزواء لا يُعرف سببه، ولا يُدرَك كنهه، فعاش بعد ذلك بعيداً عن الأضواء، يمارسُ عَمَلَهُ في مدرسة غير مشهورة أو في مكتبة متواضعة، إلى أن تقاعد، وترك الوظيفة، وظل يعيش في الظل حتى توفاه مولاه.

وبين أيدينا من شعره عشر قصائد، وثلاث مقطعات تعطي القارئ دليلاً على مبلغ شاعريته، ونضجِ تجربته، وفيض موهبته، مما مكّنه من ارتجال الشعر في أحيان كثيرة(١).

قال عنه الشيخ محمد الهويش: "ضاع كثير من شعر الشيخ عبدالله، وربما شكّل ديواناً كاملاً، ويعود ذلك إلى عدم اكتراثه بالشعر وقوله(٢) ".

ويبدو أنّ انصراف الفالح عن تدوين شعره والعناية بكتابته دفع عبدالعزيز السالم أنّ يصف شعر الفالح بصفات فنية، وينعته بالشاعر المقلّ، فقال: أنه أديب وشاعر أنيق العبارة، مرهف الحس، شفيف الروح، يقول الشعر، وإن كان مقلاً فيه(٣).

---

(١) انظر: الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦) – ١٤٣٣/٥/٥هـ مقال سابق. خالد الهويش.(ص١٩)

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الجزيرة- العدد (١٢٢٤١) – ١٤٢٧/٣/٦هـ - مقال سابق. عبدالعزيز السالم.(ص١٣)

أما الدكتور عبدالله العثيمين فكشف عن بعض السمات الفنية لشعر الفالح، فقال: "شعره جميل ورصين، جديرٌ بأن يبحث عنه ويعتنني به"[١].

والمتأمل في شعره يدرك أنّ الاغتراب هو الموضوع الأبرز فيه والغالب عليه، بل إنّ عناوين قصائده لتوحي بذلك، مثل: (خداع، أصداء الخريف، عقاقير، لحن شارد، نشيج قلب)، ولعلّ هذه الروح لتأثره –كما ذكر قبل – بشعر أبي العلاء المعري.

فأولى قصائده التي نشرها قصيدة (خداع)[٢] ، وهي تصور مدى تعلقه بالأماني التي رأى فيها تحقيق أحلامه، وإشباع رغباته، فأطلق العنان لخياله، ليرسم له واقعاً مفعماً بالصفاء، ممتلئاً بالتفاؤل والبِشر، فإذا به يستحيل سراباً خادعاً، يقول:

يا كؤوس المنى نعمت شراباً
غير أني أُلْفِينَّك بَعْدُ سرابا
تمنحينَ الفتى الوعود خداعاً
وَتُرجِّينه الجَنَى المستطابا
يَرِدُ المرءُ منهلاً منك عذباً
فإذا بـه يستحيـلُ عذابـا
فطفقنا نهيمُ في كُلِّ وادٍ

(١) انظر: الجزيرة – العدد (١١٩٨١) – ١٤٢٦/٦/١٣هـ-مقال سابق . د – عبدالله العثيمين.(ص٢٠)

(٢) المدينة المنورة،-العدد (٢٧٠) ١٣٦٧/١/٢٤هـ،- خداع . عبدالله الفالح،(ص٤).

للأماني نرتادُ فيه الرغابا
غيرَ أنَّ العُمْرَ انطوى دون جدوى
وصحونا نجرعُ اليوم صابا

وفي قصيدته (عقاقير) [1]يدعو نفسه إلى الصبر، وتحمل الجفاء، واحتمال الأسى حتى تنجلي غيابات الآلام، وإن أصابها ضَعْفٌ أو وَهَنٌ فعلاجها الآمالُ والتفاؤل:

صبِّرِ النفس على مرّ القضاء
وادعها رغم التجافي للرضاء
وإذا ما خِلْتَها مُوْهِنةً
فابعث الآمال فيها والرجاء.
وارتقبْ إنْ ما الدياجي استحكمت
فَلَقَ الإصباحِ وَضَّاحَ السَّنَاء

والحياة مليئة بالمشاق، حافلةٌ بالمصائب، ولئن أضحكت يوماً أبكت، ولئن أسعدت أشقت، والمغرور هو من يركن إليها، ويظن أن الحياة مسرَّاتٌ ومباهج؛ يقول:

وحياة المرء كدٌ كلها
من عناء فيه يفْضِي لعناء

(١) المدينة المنورة – العدد (٢٨٢) ١٣٦٨/٤/١٩هـ- عقاقير – عبدالله الفالح.(ص٤)

ضلَّ من يطلبُ فيها راحةً

ليس بالعيشِ لذي حِجْر هناء

والعاقل اللبيبُ والمؤمنُ المستسلم لقضاء الله يتلقَّى مصائبها بالرضا والتسليم، وترك التَّسَخُّطِ والتشكي:

فدع السُخْطَ فما في ورده

قطرةٌ تشفي غليلاً من ظماء

ثم يدعو إلى ترك اليأس والقنوط، وأن يعتصم المرء بحبل الله الوثيق، ليعيش حياة هنية سعيدة:

وحذارِ اليأس لا تركنْ له

كم صريع فيه أعياه الشفاء

وبحبل الله كن معتصماً

وَكُلِ الأمرَ إلى ربِّ السماء

أما قصيدته: (لحن شارد)[1] فاستهلها بوصف للطبيعة الجميلة "والطبيعة عند الرومانسي تمنحه القدرة على التأمل، كما تعطي خياله الفني الفرصة للعمل[2] "؛لأن "الخيال فرار من واقع مرذولٍ إلى ممكن مأمول[3] ". ويرى

(١) المدينة المنورة – العدد (٣٧٧) ١٣٧٠/٥/٢٢هـ – لحن شارد،–عبد الله الفالح.(ص٤)

(٢) القصيدة الرومانسية في مصر د– يسري العزب . الهيئة المصرية العامة للكتاب_ القاهرة . طبع ١٩٨٦م، (ص٤٩)

(٣) مع الشعراء، زكي نجيب محمود، . دار الشروق . القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ، (ص١٠٩).

الرومانسيون "في الطبيعة المرآة التي تنعكس على صفحتها صور نفوسهم بما يعتملُ داخلها من مشاعر وأحاسيس (١)".

والفالح في قصيدته هذه يتخذ من الرومانسية معبراً لتصوير ما جاشت به نفسه، وقد ترسّم طريقة الرومانسيين، وسلك مسلكهم، يقول:

للسنا الشارق المطِلّ على الأرضِ يُنَاجِي رحابها في سُكُوْن

والأغاني العِذَابُ تبعثُ للروح نَدَى الرِّضا وعطرَ الفنون

ورفيف الزهر فَوْقَ الرياض الخُضْرِ يغري الفتى بِسَكْبِ اللُّحُون

وللنسيمِ العليلِ يَعْبَقُ بالأنفِ شذاه منمقاً بالفتون

فهذه الصور الجميلة المتلاحقة للطبيعة بمباهجها وحسنها، تستهوي الشاعر، ولكنها في الوقت نفسه تثير أحزانه عندما يرى واقعه المر بما يحمله من أهوال ومصائب، يعيشها الشاعر مضطرباً قلقاً، فيقول:

هي عندي مباهجُ الكونِ في هذي الحياة التي تثيرُ شُجُوني

وتريني العَيْشَ المنَكَّدَ والحزن ضروباً من الأسى المأفون

(١) القصيدة الرومانسية في مصر،(ص٤٩).

وفي المقطع الثاني من القصيدة، التفت الشاعر إلى نفسه، وعكف على ذاته مصوراً مدى الصراع النفسي الذي يعتملُ في نفسه؛صراع بين أحلامه التي يرجو تحققها، وبين واقعه الذي يصادمها؛ فيقول:

أنا أحيا على بقية آمال، أراها تهافتت للفناء

أقطع العمر في مناجاة أحلامي وأطوي بين الجوانح دائي

مستهامُ الفؤادِ لجَّ بي الشوقُ، فأورى الجحيم في أحشائي

ثم يتطور موقف الشاعر في المقطع الثالث إلى أن يصل إلى مرحلة اليأس، وانقطاع الأمل والرجاء، والهروب إلى العزلة واللجوء للوحدة، فربما كان الموت هو النهاية لذلك الصراع النفسي؛ يقول:

أين سلوايَ بعدما تهتُ في مَهْمَهِ بلواي واحتسبتُ حياتي

وجفاني الإسعادُ، فانقدتُ للحرمانِ أسوانَ أمتطي حسراتي

ورمتني أيامي السودُ في الحَيْرةِ حتى غَصَصْتُ في آهاتي

يَئِسْتُ ألقى الصديقَ يُفَرّجُ عني ما ألاقيه من جَوىً وشَتَاتِ

لا، ولا تسمح الليالي بإسعافي بما في سلوتي ونجاتي

فاتركوني أهيم في حيرتي الكبرى إلى أَنْ أرى الطريق المواتي

أو ألاقي دون الذي أنا أهواه صعاباً تَرُدَّنِي لمماتي

ويؤكد الفالح في قصيدته (نشيج قلب)[1] أنه سئم الحياة، وَمَلَّها فلقد أمضه الجوى، ولجّ به الغرام، وشرب كأس الألم، وذاق طعم العذاب، ولذلك لم يعد للحياة معنى، ولا للوجود مغزى؛ فيقول:

يا شجونَ القلبِ أرفقي

بغريبٍ عاف الحياه

وعلى القلب أشفقي

فلقد ذاب في أساه

وإذا شئتِ أشرقي

لفتى في دجاك تاه

حسبُه اليومَ ما لَقِيْ

من ضَنَى الشوق في هواه

فارحمي مِنْهُ ما بَقِى

فلقد ودعت مناه

وتتوالى أبيات القصيدة مصورة عمق مأساته وطول وحدته وانكفاءه على نفسه:

(١) المدينة المنورة – العدد (٣٨٩) ١٣٧٠/٨/١٧هـ- نشيج قلب- عبدالله الفالح.(ص٤)

شفَّه الوجدُ فانظري
مودعاً سرَّه الظَّلاْمَ
وَتَجَافَى به النَّوَى
فتمادى به الغرام

وفي المقطع الأخير من القصيدة، يبلغ به التشاؤم مبلغه، فليست الحياة ذات بهجة، وليس للوجود قيمة؛ فيقول:

الرؤى الحالماتُ لم
تعد اليوم في الدنى
والأماسي في الظُلَم
لم تَعُدْ تذكرُ السَّنا
والأزاهيرُ للعدم
قد تهاوتْ قبل الجنى

أما في قصيدته المخمسة (ومضات)[1] فيظهر حزنه، ويشكو ضياعه، وتشتت نفسه، فهو يعيش في شجن وكآبة، ويعاني الآلام والمتاعب، ويقاسي المصائب والبلايا، فلم تتحقق آماله، ولم تنجَلِ كرباته؛ يقول:

أين أمضي في ركابي
بين هاتيك الرحاب
طُرُقٌ ذاتُ شعاب

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر.

أسلمتني للصعاب

دون أن ألقى طلابي!

طال شجوني وانتحابي

وَتَقَمصَّتُ اكتئابي

أترى ينجابُ ما بي

من شجونٍ واغتراب

أوقعاني في عذاب

وكلما أراد أن ينجو من خضم هذه الشجون والأحزان، عاد حسيراً كسيراً، فهي أشدّ وأعنف من عزمه وإرادته؛ فيقول:

أنا في بحرٍ خِضِمّ

غارق فيهِ بوَهْمِي

كُلَّما استجمعتُ عزمي

علَّني أنجو بعومي

غطني موجُ العباب

ويأتي ختام قصيدته معبرا عن الأمل الكذوب واليأس القاتل، والمستقبل القاتم؛ فيقول:

نضب الماءُ النمير

واختفى الخير الكثير

صوّح الزهورُ النظير

وخبا البدرُ المنير

أترى أين مآبي؟

ويتجلى موقفه من المرأة في قصيدته (أصداء الخريف)[1] ، "والمرأة عند الرومانسيين هي الملاذ الذي يحتمون بحبه من اغترابهم في الواقع الإنساني؛ لأنها هي الكيان الإنساني الجميل الذي تكتمل به حياة الرجل، ولذا فإنه يبذل في سبيل الحصول عليه الكثير من الضنى والسهد و"العذاب [2]".

فقد تلاشت أحلام شاعرنا قبل أن تكتمل، وضاعت منه قبل أن تتحقق، فنضب معين آماله، وتحطمت على صخرة الفراق أمانيه، ؛فقال:

يا زَهْرَة العُمْرِ التي صَوَّحت
من قبل أن نستاف منها العبير
و يا مُنَى القلبِ التي هَوَّمت
في عالم الأطياف تشكو المسير
ملتاعة حتى لقد أوشكت
أن تترك القلب لأسر الشرور

وكانت تلك المرأة التي أحبها هي سلواه في أحزانه، وملاذه في أشجانه، وهي مبعث إلهامه، ومنبع خياله:

ويا رؤى الأفراحِ في مُهْجتي
تختال إدلالا بِسِحْرِ الفتون

---

(١) المدينة المنورة- العدد (٤٠٨) ١٣٧١/٢/٧هـ- أصداء الخريف- عبدالله الفالح.(ص٤)

(٢) القصيدة الرومانسية في مصر، (ص٤١)

وبسمةَ الآمالِ في حيرتي

تُزَوِّدُ عني غائمات الشجون

وفي المقطع الرابع، يبين الشاعر شدة تعلقه ومبلغ هيامه، كلما لاح طيفُها، وتمثل له رسمها:

أَكُلُّما مرت عل خاطري

نجواك هام القلب في شقوته

واسْوَدَّت الأشباحُ في ناظري

والكونُ ساد الصمت في لُجَّتِهِ

ولكن هل ستعود الحياة كما كانت ويعود الوئام بعد الخصام، والوصل بعد الهجر، والفرح بعد الحزن؛ يقول:

هل بعد آلامي يشعُّ السرور

على فؤادٍ عاشَ رَهْنَ الظلام

وهل بُعيد الهجر تصفو الأمور

فنلتقي نشوى بروح الوئام

وتتواصل أبيات القصيدة مبينة مبلغ آلامه وأحزانه، ثم يختمها بقوله:

لعل أيام الهناء أو عسى

تعود في أفراحنا الشاديه

أو لا، فإن القلب لن يَهْجَسَا

من بعدُ في آمالِهِ العاليه

سيَّان إن رقَّ الهوى أو قسا

إذا انطوت أحلامنا الزاهيه

ونظم قصيدته ذكرى[1] بمناسبة بدء العام الهجري ١٣٦٨هـ، والهجرة النبوية كانت مبعث إلهام للشعراء، لأنها بدء تاريخنا الإسلامي الناصع البياض، عندما هاجر المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، وبدأ التاريخ الإسلامي يسطر أروع صفحاته وأزكاها، فوقف الشاعر الفالح أمام هذه المناسبة مستجلياً أثرها في نفوس المسلمين، وبما تبعثه من الذكريات الرائعة والإشراقات الجميلة، يقول:

ألهمني يا مَبْعَثَ الذكريات
لغة الشعرِ صادق اللهجات
وأفيضي عليَّ من نبعك الصافي بياناً أُزْجِي به نَفَثاتي
وابعثي في مشاعري كُلَّ مَعْنَى
سرمديِّ الجلالِ جَمِّ العِظَات
فلذكراك في فؤادي رَمْزٌ
ثابتُ الأصيل مُعْتَلِي الدَّرَجاتِ
كم حنينٍ إليك عاودَ نفسي
فاستفاضتْ لذكره عبراتي

(١) أم القرى – العدد (١٢٤١) ١٣٦٨/٢/٢٣هـ – ذكرى الهجرة النبوية– عبدالله الفالح.(ص٢)

والهجرة فرصة لاسترجاع الذكرياتِ الخالدة؛ حيث حياة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الكرام – رضوان الله عليهم – عندما تهادت مواكب الإيمان تنشر الإسلام في ربوع الأرض، فاستنارت البشرية بعد جَهْلٍ، واطمأنت بعد خوف وتشتت، وانتشرت كتائب المؤمنين، تنشر الخير والنور؛ إذ يقول في هذه المعاني:

إيه رَمْزَ الهُدَى اسْتَهِلّي حديثاً
فيه نَفْحٌ من آيك البينات
وأعيدي الذكرى لعصرٍ مجيد
حافلٍ في روائعِ المعجزات
وأريني مواكبَ المجد لما
أوغلت في مهامه الفلوات
هبةُ اللهِ للخليقةِ سِرٌ
يتخطَّى السهول والهضاب

واسترسل الشاعرُ يُجَلّي صوَر ذلك الضياءَ، الذي جاء به النبي المرسل عليه الصلاة والسلام:

فاستنارتْ بنورها واستمدَّت
من سناها عوالمُ الكائنات
وسرت في الآفاق شرقاً وغرباً
بذكاءٍ مباركِ الخُطُوات
أشرقت منه أنفسٌ طاهراتٌ

نَظَمَتْها رسائلُ الرَّحمات

وهكذا تتوالى أبيات القصيدة في تناسق بديع، وإيقاع منسجم، تُحَرِك المشاعر، وتثير الهمم.

وتمثل قصيدته (موكب النور) نمطاً مختلفاً لشعر المناسبات، ـ التي نظمها في حفل افتتاح مبنى المدرسة السعودية بعنيزة، وقد سبقت الإشارة إليها ـ؛ إذ جاءت في قالب فني رومانسي فريد، ليس فيها إسراف في المديح أو تقريرية في النظم، بل جاءت مليئة بالخيال الرائع، وهي آخر قصائده نظماً، وتمَثِّلُ ذروة نضجه الأدبي، ومطلعها:

طلع الصباحُ فهل رنوتَ إلى هُنا
لترى السنا الرفَّاف يهتف بالمنى

وهذا الاستهلال جميل، يحمل معنى التفاؤل، فالعلم نور، يشرق على الدنيا، والجهل ظلام، فها هو فجر العلم قد انبلج، معلناً افتتاح ذلك الصرح العلمي الشامخ، الذي كان أمنية فتحقق، ثم شرع يصف الجمعَ الكبيرَ الذي حضر ذلك الاحتفال في يوم علتْ فيه راية العلم، وشمخت قمة المجد:

فانظر إلى الحشد العظيم وقد أتى
ليخلد اليوم السعيد لحفلنا
يومٌ به تحلو أغاريد المنى
ويصافح المجد التليد المحسنا

وتتتابع أبيات القصيدة حاملة ألفاظ البشر والفرح، في إيقاع جميل، وتوازن لفظي متناسق، وكلمات موحية بالمستقبل الوضاء الجميل لذلك النشء، الذي

سوف يَضُمُّه ذلك المحضن التربوي العلمي، ثم أخذ يصف روعة ذلك البناء وعظمته:

وانظر إلى هذا البناء وقد بدا
في روعة بهرت رؤاها الأعينا
واسأل فؤادك مَنْ تُرَى قد شادها
حصناً لأبناء البلاد ومأمنا

وعرَّجَ الفالح على مَن بناها، وأشاد صرحها؛ فهو مستحق للمدح والثناء، ولكن الألفاظ لا تفي بشكره والعبارات لا تكفي لبيان فضله.

فاهتفْ لمن قد شادها متفضلاً
لله ما قد يبتنيه وما بنى
في مثل ذا تُحْلَى السماحة والندى
أعظمْ بِمَنْ تخذ المكارم دَيْدَنا
عبثاً أحاول أن أشيد بذكره
من دونه الألقابُ تَقْصُرُ والكُنَى

ويأتي الشاعر بحكمة رائعة سديدة، فإن الأمور تحتاج إلى عزيمة ومبادرة، فالعقبات تذللها العزائم، والصعوبات تهونها الهمم:

تبدو الأمور على التواني صعبةً
فإذا عزمتَ لَقِيْتَ شيئاً هينا
كم ذا ظننا المستحيل فراعنا
لما بدا في السعي أمراً ممكنا

وبعد ذلك بَيَّن الشاعر فضل العلم، فهو ينبوع التقدم، وروح الحياة، به تقوى الأمم، وترتقي الدول:

والعلم ينبوع الحياةِ وروحُها
وهل الحياةُ بغيره الا الضَّنَى
..... بالعلم يُحْمَى يا بني وطني الحِمْى
لا بالسيوف كما مضى أو بالقنا

ثم يستنهض الشباب داعياً لهم إلى استذكار الماضي التليد، والمجد القديم، لنعيدَ وهجه، ونقتبس من نوره، لا أن نستكين إلى الذكريات فقط، وندع العمل، فلا بد من الاتكاء على الماضي والانطلاق منه لمواجهة تحديات الحياة، ومنافسة الأمم في التقدم والرقي:

عودوا إلى الماضي البعيد لكي تروا
عهداً أضعناه فشتت شملنا
وإلى الأمام إلى الأمام فقد بدا
عهدٌ جديدٌ، واستهل مؤذنا
للنهضة الكبرى أعِدُّوا أمركم
فإلام ترضى أنفس أن تغبنا

وتبرز وطنية الشاعر في ختام قصيدته الرائعة، فنحن فداء لهذا الوطن، الذي درجنا على ثراه ونهلنا من معينه، فإذا اشتكى وطني بكيتُ، وإذا أضحى قوياً غنياً فأنا غَنِيٌ بغنى وطني، ولو كنت فقيراً معدماً. وتصل عاطفته الجياشة قمَّتها

في البيت الأخير، ففي فؤاده حرقة، وفي مهجته وَقْدةٌ، لن تنطفئ وتخمد، حتى يرى وطنه وقد ارتقى ذرا المجد ووصل إلى مراتب الكمال:

في مهجتي ألم وفي قلبي أسى
حتى أرى وطني أعز وأمكنا

وقد طرق الفالح موضوعه هذا طرقاً طريفاً غير معتادٍ في قصائد المناسبات، فلم نر فيها المبالغات، بل جاءت واقعية متناسقة العبارات، سلسة الألفاظ، كلمات بعضها آخذ بحجز بعض دون نبوٍّ وركاكة، ومعانٍ جليلة، وأفكار رائعة، ورؤى تدل على نضج فكري وأدبي.

نثره: أما نثره فقد أثبت منه خمسة نصوص، نصان من مشاركته في زاوية: عدسة المعنويات، نستطيع أن نستشف منهما الملامح العامة لنقده للشخصيات، وهي:

١) يمهد لكلمته بذكر منزلة الشخصية وقربه مِنْهُ، وهل هو صديق مقرب له أو زميل دراسة فقط؟

٢) يذكر اسم الشخصية بعد ذلك، ويبين سنته الدراسية، ونبذة موجزة عن نشأته ودراسته السابقة.

٣) يبين طريقة التحاق المتحدَّث عنه بدار التوحيد.

٤) يخمن العمر التقريبي للشخصية؛بحسب ما يظهر على جسمه وملامحه.

٥) يعرض لجوانب تلك الشخصية الظاهرة والخفية، وصفاته الخِلْقية والخُلُقية.

٦) يحاول تعليل بعض جوانب النقص في الشخصية.

٧) يستشرف المستقبل لتلك الشخصية، ويحدد الجو الملائم لعملها.

٨) يبين مستوى ذكائه وتحصيله الدراسي واستذكاره.

٩) يذكر طريقته في الحديث والحوار، ومنهجه في الكتابة، إلى غير ذلك.

وقد سبق الفالحَ في تحليل الشخصيات على هذه الطريقة المستملحة عبدُ العزيز البشرى في كتابه (في المرآة) يقول في مقدمته للكتاب: "والغاية التي تذهبُ إليها المرآة هي تحليل شخصية مَن تجلوه من الناس، والتسلل إلى مداخل طبعه، ومعالجة ما تَدَسَّى من خلاله، ونفض هذا على القارئ في صورة فكهة مستملحة. وهذا النوع من البيان إنما تَرَّويناه من كُتَّاب الغَرب، وما فتئنا نقلدهم فيه تقليداً، على أن بعض كُتّاب العرب من أمثال الإمام الجاحظ قد سبقوا إلى شيء من هذا التصوير البياني، إلا أنهم لم يعدوا فيه تسقط هنات المرء، والصولة عليها بألوان التندر والتطريف. أما التوسل بمظاهر خلال المرء إلى مداخل نفسه ومنازع طبعه، وإجراء هذا على أسلوب علمي وثيق، فذلك مالم أقع عليه في منادراتهم ووجوه تطرفهم"[١].

وقد سلك هذا المسلك أيضاً إلياس أبو شبكة في كتابه الرسوم[٢]، ومثله ما كان يكتبه طاهر الطناحي في مجلة الهلال تحت عنوان: حديقة الأدباء، فهو ينقد الشخصيات في قالب فكاهي[٣].

---

(١) في المرآة- عبدالعزيز البشري،-مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة -الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ (ص :و)

(٢) انظر: كتاب الرسوم - إلياس أبو شبكة- مطبعة المعرض- بيروت -طبعة سنة ١٩٣١م(ص٥)

(٣) انظر: مجلة الهلال- العدد (٧)- المجلد (٥٩) ١/ يونيو ١٩٥١م، ٩/٢٧/ ١٣٧٠ هـ(ص٢٦)

الخاتمة:

وبعد، فقد ترجم هذا البحث لعالم أديب، بدأ حياته العلمية والأدبية متوهجاً، ينشر ويبدع، يغشى المنتديات، ويخطب في المحافل، ولكنه لم يستمر على ذلك طويلاً، فقد غير مسلكه وبدل طريقه، فاختار طريقاً يؤثر العزلة، ويركن إلى الانزواء، والبعد عن الأضواء.

وقد أوضح هذا البحث الجانب المبدع الذي عاشه الفالح، في أثناء دراسته في دار التوحيد، وفي كلية الشريعة بمكة.

وأبان عن الحراك الثقافي والأدبي الذي كان يلقى في ردهات تلك المنارتين، ولكن كثيراً منه قد ضاع، فليس بين أيدينا مما كان يلقى في تلك الحفلات والندوات إلا القليل جداً.

وأثبت هذا البحث قصائد شعرية ونصوصاً نثرية، تدل على عمق موهبة الفالح الأدبية.

وأبرز أيضاً تأثر الفالح بالمذهب الرومانسي الذي كان شائعاً إبان نظم تلك القصائد، فاستطاع أن ينظم قصائد حوت جمالاً وإبداعاً.

ولعل أدب الفالح يجده مكانه المناسب في كتب الأدب السعودي، ولعل ترجمته تجد طريقها إلى الكتب التي تترجم للأدباء السعوديين.

نماذج من شعره:

(خداع)[1]

يا كؤوس المنى نَعِمْتَ شرابا
غير أَنّي ألفيتُّك بعدُ سرابا
تمنحين الفتى الوعود خداعا

(١) المدينة المنورة- العدد (٢٧٠)، ١٣٦٧/١/٢٤هـ- خداع- عبدالله الفالح،(ص٤)

وَتُرَجيّنه الجَنَى المستطابا
فيظلُ المغرورُ في حُلْمِه الناعمِ
يرجو وراء ذاك ثوابا
يردُ المرءُ منهلاً منك عذباً
فإذا به يستحيلُ عذابا
كم وعودٍ قد احتسينا عقاراً
نشوة منه أفقدتنا الصوابا
فطفقنا نهيمُ في كُلِّ وادٍ
للأماني نرتادُ فيه الرِّغابا
غَيْرَ أَنَّ العُمْرَ انطوى دون جدوى
وصحونا نجرعُ اليوم صابا
(من الخفيف)

الطائف ـ عبدالله الصالح الفالح.

(ذكرى الهجرة النبوية)[1]

ألهمني يا مبعثَ الذِّكرَيات
لُغَةَ الشِّعْرِ صادقَ اللَّهجات
وأفيضي عليَّ من نبعك الصاف
ي بياناً أُزْجِي به نفثاتي
وابعثي في مشاعري كل معنى

(١) أم القرى – العدد (١٢٤١)، ١٣٦٨/٢/٢٣هـ- ذكرى الهجرة النبوية- عبدالله الفالح.(ص٢)

سرمديِّ الجلال جَمِّ العظات
فلذكراك في فؤادي رمزٌ
ثابتُ الأصل مُعْتَلِي الدَّرجات
كم حنينٍ إليك عاودَ نفسي
فاستفاضتْ لذكره عبراتي
واستفزَّ الشعورَ مِنِّي حَتَّى
كَدِتُ أبقى أَسِيْرَهُ في حياتي
ورماني في حيرة بين يأس
ورجاءٍ أهيمُ في خطراتي
فإذا بي قد رجعتُ لنفسي
أتهادى في عالم الذكريات

بين عامين وقفةٌ هي درس
مستفيضٌ لصادقِ العزمات

* * *

إيه رمز الهدى استهلي حديثاً
فيه نفح من آيك البينات
وأعيدي الذِّكرى لعصر مجيد
حافل في روائع المعجزات
وأريني مواكب المجد لما

أَوْغَلَتْ في مهامه الفلواتِ
هبةُ الإله للخليقة سِرٌّ
يتخطَّى السهول والهضبات
مشهدٌ رائعٌ به قد أحاطت
هالةُ النُّورِ عبقريُّ السمات

* * *

إيه زُفِّي لنا الأقاويل يا ذكرى وجُودِي بثاقبِ اللمحات

وأميطي اللِّثام عن سالفِ الأجيال تَرْوِي لنا حديث الرواة

حيث تُملي على الأنام سُطُوراً
مِنْ سجلِ المواقفِ الخالداتِ
يوم جاء الهدى يُشِعُ ضياءً
قُدْسيّاً يفيض بالبشريات.
وتجلَّت شموسُ رحمةِ ربي
تتحدى غياهب الظلمات
فاستنارت بنورها واستمدَّتْ
في سناها عوالم الكائنات
وسرت في الآفاق شرقاً وغرباً

بذكاءٍ مبارك الخطواتِ
أشرقت منه أنفسٌ طاهراتٌ
نظمتها رسائلُ الرَّحَمات
وَجَلاها في صَيْقَلِ الحقِّ حتى
برئت من شوائبِ النزواتِ
فأنابت لربِّها واستجابت
لنداءِ الإيمان والمِكْرُمات
وتزَكَّت لما أتاها تقاها
فتسامت عن حَمْاةِ الشهوات.

* * *

نفحاتٌ من المهيمن جَلَّت
حكمةُ اللهِ واهبُ النفحات
حَلَتِ الأرضُ من حُلاَها وشيكاً
تنقذُ النَّاس من حُمَى الهَلَكَات

وَتَبُثُّ الهناءَ والخيرَ والرشد جميعاً في هذه الرحبات

فهي السرُّ للسعادة في الخلق، ومنها تَحَقَّقُ الأمنيات

وهي مِنْ بعدُ مصدرٌ للجمال الفذِّ والحُسْنِ رائعِ القسمات

(من الخفيف)

الطائف- دار التوحيد-عبدالله الصالح الفالح.

(عقاقير)[1]

صَبِّرِ النفس على مُرِّ القضاء
وادْعُها رغم التجافي للرضاء
وإذا ما خلتها موهنةً
فابعثِ الآمال فيها والرجاء

وارتقبْ إن ما الدياجي استحكمت
فَلَقَ الإصباحِ وَضَّاحَ السَّنَاء
فَلِكُلِّ أجلٌ يسعى له
ليس بعد البدءِ إلا الانتهاءِ
وأمورُ الخلق مهما عظمت
ولئن طال المدى ـ رَهْنُ الفناء
وحياة المرءِ كَدٌّ كُلُّها
من عناءٍ فيه يُفْضي لعناء
ضلَّ من يطلبُ فيها راحةً
ليس بالعيش لذي حِجْرٍ هناء
فدع السخط فما في وِرْدِه
قطرةٌ تشفي غليلاً من ظماء

(١) المدينة المنورة -العدد (٢٨٢)، ١٣٦٨/٤/١٩هـ- عقاقير -عبدالله الفالح.(ص٤)

فهو بالقلبِ جحيمٌ سُعِّرَتْ
ولظى تَفْرِي شَراسيفَ الحشاء
كيف نبغيه عزاءً وبه
لو عقلنا شرَّ أنواعِ الشقاء
وحذارِ اليأسَ، لا تركنْ له
كم صريعٍ فيه أعياه الشفاء
وبحبلِ الله كن معتصماً
وَكلِ الأمرَ إلى رَبِّ السماء
فجميعُ الكونَ في قبضته
جَرَتِ الأقدارُ فيه كيف شاء
وإذا نَفْسُك من أشجانِها
صَدَأَتْ وانكدرتْ بعد صفاء
فعلى الآمالِ عَرِّجْ ناشداً
صَيْقَلَ الآلام فيها والجلاء
(من الرمل)

الطائف ـ دار التوحيد ـ عبدالله الصالح الفالح.

* * *

(في مراقب الكلية)[1]

قالها في مراقب كلية الشريعة بمكة آنذاك الشيخ عبدالرحمن المانع، ومساعده أبي الوجيه، وقد زارا دار التوحيد:

مرحى لهذا المانعي الألمعي المجْتَبَى

أخلاقُهُ عطرٌ كأزهار البنفسج في الربى

وأبو الوجيه وزيره يهنيه ذاك المنصبا

وإذا تبدَّى في العقالِ، وقد تَلَفْلَفَ في العبى

ألفيتَهُ كأميرِ قومٍ لا يزال مُقَرَّبا

كانوا في المبني في الماضي فأضحوا معربا

(من مجزوء الكامل)

(لحن شارد)[2]

للسنا الشارقِ المطِلُّ على الأرض يناجي رحابها في سكون

والأغاني العذاب تبعثُ للروح ندى الرِّضى وعطرَ الفُتُون

---

(١) الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦) ١٤٣٣/٥/٥هـ- مقال سابق –خالد الهويش.(ص١٩)

(٢) المدينة المنورة- العدد (٣٧٧) ١٣٧٠/٥/٢٢هـ- لحن شارد- عبدالله الفالح.(ص٤)

ورفيفَ الزهرِ فوق الرياض الخُضْرِ يغري الفتى بسكب اللحون وللنسيم العليل يعبق بالأنفِ، شذاه منمقاً بالفنون هي عندِي مباهجُ الكونِ في هذي الحياة التي تثير شجوني وتريني العيشَ المنَكَّدَ والحزن ضروباً من الأسى المأفونِ أحتسيه مدى الزمان احتساءَ المدمنِ المرتمي بِحُضْنِ الجنون

* * *

أنا أحيا على بقية آمال، أراها تهافتت للفناء أقطع العمر في مناجاة أحلامي وأطوي بين الجوانح دائي مستهام الفؤاد لجَّ بي الشوقُ فأورى الجحيم في أحشائي كلما جئت أستفيء ظلال الحُسْنِ ثرَّ السَّنا بهيِّ الرواءِ دفعتني عنه أيادي أتعاسي، فَخَيَّمَتْ في هجير شتائي أرمق الماضي البعيد، فتستشرفُ نفسي وأستطيب رجائي

وَأُمَنِّي النفسَ التي طال مسراها، ولم تلق فيه غير العناء

* * *

أين سلواي بعدما تِهْتُ في مهمه بلواي واحتسبت حياتي وجفاني الإسعاد، فانقدتُ للحرمانِ أسوانَ أمتطي حسراتي ورمتني أيامي السودُ في الحيرة حتى غصصت في آهاتي يَئِسْتُ ألقى الصديق يُفَرّجُ عني ما ألاقيه من جَوًى وشتاتِ لا ولا تسمح الليالي بإسعافي بما فيه سلوتي ونجاتي فاتركوني أهيمُ في حيرتي الكبرى إلى أن أرى الطريق المواتي أو ألاقي دون الذي أنا أهواه صعاباً تَرُدَّنِي لمماتي

(من الخفيف)

عنيزة – عبدالله صالح الفالح

(نشيج قلب)[1]

يا شجونَ القلب أرفقي
بغريبٍ عاف الحياه
وعلى القلب أشفقي
فلقد ذابَ في أساه
وإذا شئت أشرقي
لفتى في دجاك تاه
حسبُه اليومَ ما لقي
من ضنى الشوق في هواه
فارحمي منه ما بقي
فلقد وَدَّعْتِ مناه

* * *

طال في غمرة الهوى
سبحةُ القلب المستهام
شَفَّة الوجدُ فانظري
مودعاً سرَّه الظلام

(١) المدينة المنورة- العدد (٣٨٩)، ١٣٧٠/٨/١٧هـ- نشيج قلب- عبدالله الفالح.(ص٤) وكان قد سماها في الأصل المخطوط: (يا شجون القلب) لكنه شطب عليه، وأثبت المذكور.

وتحافى به النوى
فتمادى به الغَرَام
لا تلمه إذا ثوى
ضارعاً بلثم الرَّغام
فلقد مسَّه الجوَى
فسقاه كَأْسَ الحِمَام

* * *

الرؤى الحالماتُ لم
تعد اليومَ في الدُّنا
والأماني في الظُّلَم
لم تعد تذكر السنا
والأزاهير للعدم
قد تهاوت قبل الجنى
والتهاويم بالنَّغَم
راقصاتٌ بقربنا
ما لها اغتالها السأم

فانبرت تشكو الضَّنَى

فارقبْ النأي قد وجم

وطوى لَحْنَهُ الفنا

عانقَ الروحَ فابتسم

وأنكرته فانثنى

(من مجزوء الخفيف)

عنيزة– عبدالله صالح الفالح.

(أصداء الخريف)[1]

يا زهرةَ العُمْرِ التي صَوَّحَتْ
من قبلِ أن نَسْتَافَ منها العبير
ويا مُنَى القلب التي هوَّمت
في عالمِ الأطيافِ تشكو المسير
ملتاعةً حتى لقد أَوْشَكَتْ
أن تتركَ القلب لأسر الشُّرور

* * *

ويا رؤى الأفراحِ في مهجتِي
تختالُ إدلالاً بسحر الفتون
وبسمةَ الآمال في حيرتي

(١) المدينة المنورة،– العدد (٤٠٨)، ١٣٧١/٢/٧هـ– أصداء الخريف– عبدالله الفالح.(ص٤)

تزوَّد عَنِّي غائماتِ الشُّجون
ويا (.....) أنت أو شقوتي
قد ساورتني فِيْكَ شَتَّى الظنون
* * *

أيقظتِ في قلبي المنَى الباسمات
لكنك استأثرتِ في سِرّها
وهِجْتِ لي في عالمِ الذكريات
مواجدي فاحترتُ في أَمْرِها
فودّع القلبُ صَدَى النعيات
ليبعثَ الأشجانَ من قبرِها
* * *

أَكُلَّما مرَّت على خاطري
نجواك هام القلبُ في شقوته؟
واسودَّتِ الأشباحُ في ناظري
والكونُ ساد الصمت في لُجَّتِهِ
فَعُدْتُ في دنيايَ كالسَّادر
يلوذُ بالأوهامِ من حيرته
* * *

هل بعد آلامي يشعُّ السرور
على فؤادٍ عاشَ رَهْنَ الظَّلام
وهل بُعَيْدَ الهَجْرِ تصفو الأمورُ

فنلتقي نشوى بروح الوئام
تحنو علينا ناظراتُ الزهور
في روضةٍ فاضت بسحرِ الغرام
أم سوف نبقى في شِعَابِ الزَّمن
تلوي بنا أشواقُنا الثائره
مِنْ كُلِّ قلبٍ قد طواه الشَّجَنْ
وأرَّقته اللهفةُ العاثره
غَنَّى بألحانِ الهوى فافتتن
لما استبته المقلة الساخر
* * *
ونرتمي صَرعى بظل الأسى
تئن بنا جراحنا الداميه
تنأى بنا الآمال أن نيأسا
ولا تروي الأكبد الظاميه
لعل أيام الهناء أو عسى
تعود في أفراحنا الشاديه
أو لا، فإن القلب لن يهجسا
من بعدُ في آمالهِ العاليه
سيان إن رق الهوى أو قَسَا
إذا انطوتْ أحلامُنا الزاهيه

(من السريع)

عبدالله صالح الفالح (عنيزة)

(ومضات)[1]

أين أَمْضَي في ركابي بين هاتيك الرحاب

طُرَقٌ ذاتُ شعاب أسلمتني للصعابِ

دون أن ألقى طلابي!!!

طال شَجْوي وانتحابي وَتَقَمصَّتُ اكتئابي

أَتُرى ينْجَابُ ما بي من شُجُونٍ واغتراب

أوقعاني في عذاب!!!

خطرات من فؤادي نَغَّصَتْ صفو رُقَادي

ورمتني من سُهَادي بسهامٍ لاصطيادي

ما رَمَتْ غير صوابِ!!!

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر(من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

أملٌ يبسم طورا ثم يخبو مكفهرا

كلما قلتُ استقرّا رام تكذيبي ففرَّا

وتوارى بالحجاب!!!

ها أنا أطلب شأوا وهو عَنِّي اليوم يُزْوى

أَتَرى لي عنه سلوي أم أعود اليوم نضوا؟

ودموعي بانسكاب!!!

كم تعشقت الزهورا وتذوقت الحبورا

أَعْصُرٌ وَلَّت نُفُورا كم بودي أن تحورا

غير أن الجد كابي!!!

أفأشدو بالقصيد وَأُغَنِّي بنشيدي؟

وأنا غير مُرِيْد لَسْتُ من ذا بالمجيد

لو تَمَحَّلْتُ لبابي!!!

أنا في بَحْرٍ خِضَمٍّ غارقٌ فيه بوَهْمِي

كُلَّما استجمعتُ عزمي عَلَّنِي أنجو بِعَوْمِي

غطَّني موجُ العباب!!!

أُتْرِعتْ كأس حياتي بمزيجِ الحسراتِ

يا لها من جَرَعَات جَلَبَتْ لي شقَّواتي

فهي كالسُّم المذاب!!!

آدني فَرْطُ التأسِّي واستوى يومي وأمسي

كُلَّما حاولتُ نفسي زادني نَحْسَاً لنحسي

هاجسٌ ليس يحابي

امضِ في دَرْبك صاحِ واترك اليوم سَرَاحي

فلقد هِيض جناحي رغم أني ذو طماح

آه من عظم مصابي!!!

أَنْتَ حَتَّام تَجَنَّى أَيُّها القلبُ المعَنَّى

إن تكن للحزن رهناً فسواك اليومَ مُضْنَى

فدع الآن عتابي!!!

لا تُؤَنِّبني كَفَاني عظةً صرفُ زَماني

فَرْقُه بَعْدَ التداني وجَفَا بعد التفاني

هدَّ ما صرح شبابي!!!

كم تداويتُ بدائي أبتغي فيه شفائي

فإذا طول عنائي بالذي كان عزائي

أين من بعد رغابي!!!

أيُّها الساكب دمعا لست في ذلك بدْعا

غيرَ أَنِّي لك أنعى حيثُ لا يجديك نفعا

غير تضعيف العقاب!!!

نضبَ الماءُ النميرُ واختفى الخيرُ الكثيرُ

صوَّح الزَّهْرُ النظيرُ وخبا البَدرُ المنيرُ

أتري أين مآبي!!!

(من مجزوء الرمل)

(!!!؟)[1]

ح: حلم داعب جفني زمنا ثم وَلَّى فشجاني حزنا

سكنتْ نفسي إليه ساعة ثم لا أعلم أيّان أنا؟

ن: نظرتْ عيني سراباً عندما أشرفت تبحثُ عنه في الدُّنا

آهِ يا حلمي الذي عشْتُ به قد تولَّى عندما طاب الجنى

ليتني ما عَلِمَتْ نفسي به وتولَّى قبلما عوَّدنا

إنَّها الأيَّامُ هذا دأبها تَصْدَعُ الشَّمْلَ وتُقْصِي من دنا

لا أبالي بالليالي فافعلي كُلَّما شئت أراه هينا

ش: شيمةُ الحب اصطبارٌ خالدٌ بين أشتاتِ ظنونِ ومُنَى!!!

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

ي: يأخذُ الشوقُ الذي شاء له والرُّؤَى تبعثُ ذكرى قربنا

خَفِّفِي من حُبِنَا أو ضاعفي يا ليالي من عذابي والضَّنى

(من الرمل)

"غلبان"

"م، أ"

* * *

(موكب النور)[1]

قالها بمناسبة افتتاح مبنى المدرسة السعودية بعنيزة في يوم ٢ صفر ١٣٧٢هـ:

طلعَ الصباحُ فهل رنوتَ إلى هُنا ... لترى السَّنَا الرفاف يهتف بالمنى

يختالُ بالأفقِ الرحيبِ كأنما ... كشفت له الأيام مما استبطنا

فمضى يتيهِ على الزمانِ وأهلهِ ... ويريقُ لحن البشرِ في سَمْعِ الدُّنى

ويطلُّ من أعماقِه روحُ الرِّضا ... فيشيدُ الأملَ البهيجَ مُلَحِّنَا

مستبشراً فيما رأى متفائلاً ... مما بدا متهللاً لما رنا

ألقى له الأملُ الضحوكُ زِمَامَه ... فأتى به جذلانَ يمنحُهُ لنا

فانظر إلى الحشدِ العظيمِ وقد أتى ... ليخلِّد اليومَ السعيدَ لحفلنا

يومٌ به تحلو أغاريدُ المنَى ... ويصافحُ المجدَ التليدَ المحسنا

وترفرفُ الأطيارُ في وُكُنَاتِها ... فرحاً بمقدمِه ويرتعشُ السَّنا

---

(١) الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٢٢٣) ١٤٢٨/١١/٩هـ- مقال سابق - عبد المحسن الحقيل(ص٨). وانظر: معجم عنيزة (١٩٥/١٢).

وَيُرَتِّلُ الوطنُ الحبيبُ على الملا أغرودةً يشدو بها متفننا

يسخو بها من قلبه في نغمةٍ يصغي لها النائي البعيدُ ومن دَنَا

فاسمعْ إلى أنشودةِ الفخرِ الذي قد لاح في سِفْرِ الخلودِ مُدَوِّنا

وانظرْ إلى هذا البناءِ وقد بدا في روعةٍ بهرت رؤاها الأعينا

وأسأل فؤادكَ من تُرى قد شادها حصناً لأبناءِ البلاد ومأمنا؟

العلمُ فيه على الذُّرا متربَّعٌ والجهلُ يُنْبَذُ في التراب مكفّنا

يتفيأُ النشءُ العزيز ظلالَها وينالُ من أثمارِها طيبَ الجَنَى

ويعيشُ في أفيائِها متخطياً سُبْلَ الصعابِ إلى العلومِ بلا ونى

ويعُبُّ من نهرِ الحقيقةِ والهدى مستقبلاً عهد المسرَّة والهنا

ويرودُ للعرفانِ أسباب العلى فتجيبه النُّعمى وينقادُ الغنى

ويعيشُ في ظلِ النعيمِ على هدى متمتعاً بحياتِه مستأمنا

فاهتفْ لمنَ قد شادَها مُتَفَضِّلا ... للهِ ما قد يبتنيه وما بنى

في مثلِ ذا تُحْلَى السماحةُ والنَّدى ... أعظمْ بمن تَخِذَ المكارمَ ديدنا

عبثاً أحاولُ أن أشيدَ بذكرِه ... من دونه الألقابُ تَقْصُرُ والكُنَى

صَدَحَتْ له الأيامُ أعذبَ نغمةً ... قد ضمنتها الشكرُ يَعْبِقُ بالثنا

وبِكُلِّ قلبٍ فرحةٌ جياشةٌ ... نَظَمَتْ بعيدَ الدارِ والمستوطنا

قد كنتُ أحسبهُ خيالاً عابراً ... فإذا به يحلو بعيني مسكنا

تبدو الأمورُ على التواني صعبةً ... فإذا عزمتَ وجدتَ شيئاً هينا

كم ذا ظننا المستحيلَ فراعنا ... لما بدا في السعي أمراً ممكنا

آمنتُ أنَّ العلمَ سرٌ باهرٌ ... يمحو الجهالةَ والمذلَّةَ والضَّنَى

ويهيبُ بالآمالِ وهي عزيزةٌ ... فإذا بها وقد استقرَّت عندنا

والعلمُ ينبوع الحياة وروحها ... وهل الحياةُ بغيرِه إلا الضَّنَى

فانظرْ ترَ المشبوبَ من نفحاتِه يهبُ الشعوبَ حضارةَ وتمدُّنا

ويمدّها في كُلِّ ما تصبو له فترى لها في الناس شأناً معلنا

هم فيه يبتدعونَ كُلَّ عظيمةٍ تتخطفُ الأبصارُ مما حولنا

كم نال فيه ذووه كُلَّ كريمةٍ وأحلَّهم سمتَ الكواكبِ مكمنا

بالعلم يُحْمَى يا بني وطني الحمى لا بالسيوفِ كما مضى أو بالقنا

وبه يعيشُ الشعبُ مرهوبَ القوى متسنماً أعلى الذُّرا متمكنا

يحيا كما أملت له أحلامُه ويهيمُ في سبلِ السعادةِ ممعنا

إن الحياةَ لمن تدبَّر أمرها لم تستجبْ أبداً لغِرّ أرعنا

فإلامَ نبقى نحنُ في أحلامِنا صرعى كأنا قد نسينا مجدنا؟

ياليت أنَّا نستفيقُ من الكَرى حتى نراجعَ مجدنا ياليتنا!

أوليسَ في الماضي الأغرِّ دلالةٌ أن العلى كانت قديماً ملكنا؟

عودوا إلى الماضي البعيد لكي تروا عهداً أضعناه فشتت شملنا

وإلى الأمام إلى الأمام فقد بدا عهدٌ جديدٌ واستهل مؤذنا

للنهضة الكُبْرَى أَعِدُّوا أمركم فإلام ترضى أنفس أن تُغبنا؟

ما المالُ ما الحسبُ الرفيعُ إذا انزوى عن كُلِّ ما يُعلي ويحيي الموطنا

ماذا يفيدُ إذا أضعنا عمرنا في غيرِ ما يُجْدِي ويصلحُ أَمْرَنا

يا موكبَ الأنوارِ طال بنا الظَّما فاسكبْ لنا من فيضِ نورك واسقنا

لم تأذنِ الأيام أن نلقى العلى فيما مضى فاهتف بها كي تأذنا

بدمي بروحي أفتدي هذا الثرى أَنَّا دون مغناي المُفَدَّى من أنا

أبداً أنا الباكي إذا وطني اشتكى وأنا الغنيُّ ـ ولو عَدَمْتُ ـ إذا اغتنى

من كان يَرْعَى للبلاد حقوقَها فأنا الذي ما زال فيها مؤمنا

في مهجتي ألمٌ وفي قلبي أَسَى حتَّى أرى وطني أعزَّ وأمكنا

(من الكامل)

عنيزة ٢ صفر ١٣٧٢هـ

المقطوعة الأولى[١]

ونظم هذه المقطوعة التي بدأها بقوله:

فاستدرك ما فاتك بما بقي لديك، قبل أن يفوتك الأوان ثم تبقى صريع الأحزان، مالك والتسويف، فليس من الحزم في شيءٍ، وإنما هو مصائب يصابُ بها الإنسان.

هذا أخو "الجوز" استنار طريقه ... فَهَلُمَّ يا أقوامُ للعلياء

خلوا الحديث عن (الُعَبيْدِ) فما لكم ... (وأُسَيْوِدٍ) ذي عَيْلة وعياء

القوم ساروا للعلى وأراكُمُ ... في جهلكم حلفاء كل عناء

هَلَّا اتخذتم للمعالي سُلما ... تعلون فيه مقاعد الكرماء

وبه تشيدون المفاخر جَمَّةً ... حتى تعيشوا في رضىً وهناء

(من الكامل)

* * *

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر. (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

المقطوعة الثانية[١]

وقال:

أنا مِنْ حُبِّي العميق أُغنِّي لو يفيدُ الغناءُ قلبَ المتيمْ

قد أثار الشوق المجَنحُ وجداني فأصفيته الفؤاد المقسَّمْ

كل يوم أرى كياني على صَخرِ شجُوني وحرقتي يتحطَّمْ

يا لها روعةٌ تفيضُ بنفسي ظلماتٌ حليفها يتوهم

آه ما أنكد الحياة وما أقسى جفاها لوالهٍ يتظلَّمْ

(من الخفيف)

المقطوعة الثالثة[٢] :

قال:

أنا يا حبيبي في هواك قلقُ المشاعر والفؤاد

ما كنت يوماً في رضاك أبقي بديلاً في المراد

---

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر(من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية). وكان الشطر الثاني من البيت على النحو التالي: (ومنه الكيان قد تحكم). وغيّره الفالح كما في الأصل المخطوط.

(٢) ورقة مخطوطة بيد الشاعر. (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

فمتى ألاقي من جناك ما فيه موفور السداد

أواه ضاقت بي الشباك وبكيت من هول البعاد

آه، آهٍ، آهٍ آهٍ، آهٍ يا مرادي

ـ مقتطفات[1] **ـ**

قال:

إذا القلبُ أعطى للغرامِ زِمامَه

فلا تعِذله إن هَوَى فتحطّما

وَحَدَّث في نجوى الخواطر نفسَهُ

فأعربَ في نجواه طوراً وأعجما

(من مجزوء الكامل)

ـ بيت مفرد ـ

وقعُ الصبابةِ بالفؤادِ أليمُ

بين الجوانح شب منه جحيم

(من الكامل)

ـ بيت مفرد ـ

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر(من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

هو الحسنُ يفضي للمشاعر سحره
فيصحو بها المسكين صَبّا مُتيما
(من الطويل)
ـ بيت مفرد[1] ـ
حَدَتْهُ صبابات الهوى فترنما
وأغراه موفورُ المواجدِ فارتمى
(من الطويل)

* * *

(١) أوراق مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر(من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

نماذج من نثره:

١) النص الأول[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

عدسة المعنويات (تلتقط صوراً لهؤلاء)

هذا الذي سأقدمه اليوم أيضاً أحد زملائي، وهو ممن حظيت بشرف صداقته، وما زلت أرعاها له كما هو كذلك – على ما أظن –، ولكن الحكم في هذا التقديم ليس لي، وإنما هو للعدسة، فهي لا تعرف صديقاً ولا قريباً؛ إذ مهمتها أن تلتقط الصور كما يبدو لها دون أي اعتبار آخر، فصداقتي – لهذا الزميل – لا تؤثر على الموقف، ولن تُجدي شيئاً في هذا المجال ما دامت العدسة ليست من أصدقائه، وكما أنها لا تعترف بالصداقة لمن سواه، فسواء عندها المحب القريب، أو الجافي الغريب.

بعد هذه المقدمة، هل تدري من هو صاحب الصورة؟!

قف ولا تكلف نفسك بالبحث عنه إنه:

(.....)

أنا أعلم أنك ستتطلع قبل كل شيء لترى أين بلاده؟ وكيف نشأ؟ وإلامَ ينتسب؟ كما هي العادة، وهو الذي يجري فيه حكم الطبع الذي يتدرج بالأشياء من أولها إلى انتهائها، كانت ولادة صاحبنا ونشأته في المجمعة (عاصمة مقاطعة سدير) فهو إذا مجمعي – كما ترى – أما إن أردت أن تنسبه فإلى...،

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر.(من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

وهي أسرة معروفة هناك، عريقة بالنسب. كان مَنْشَؤُه في بيت من أواسط البيوت، شب وترعرع بين أبويه، ثم آن له أن يدخل الكُتاب في صباه، فدخله، فحفظ القرآن الكريم مع مبادئ القراءة والكتابة. ثم أسست هناك المدرسة الحكومية. فسارع إلى الالتحاق بها، حيث الدروس المنظمة هناك. ولما أشرف على النهاية وأصبح في الصف الخامس منها؛ وهو إذا ذاك أعلى صف تشمله جدرانها، وقفت مركبته عن السير، وهو يريد المسير، فماذا يعمل؟

لقد بقي فيها كالماء الآسن، غاظه ذلك، فاضطر إلى تركها – وهو على مضضٍ – أو بعبارة أصح هي التي تركته، هناك اتجه إلى حلقات القرآن في بلاده، ثم في الرياض أخيراً.

وكانت دراسته عليهم دارسة مشايخنا المعهودة، وبدون تعليق، اعتماداً على فهم المستمعين الكرام. أما إن ألَّحوا في أن نصرح لهم زيادة عن ذلك، فهي دراسة لا تغني ولا تسمن من جوع. ولا أقول: إنها (ضريع) لا لا... هذا قله أنت إن شئت – يا بليغ –.

ثم جاء إلى دار التوحيد فكان في مقدمة من وقع عليهم سهم الاختيار – ولا راد من قضاء الله– فعزموا عليه أن يلتحق في هذه الدار، بطريقة يسمونها الإجبار. وما كادت قدماه تطأ أرض هذه المدرسة، ويتعرف برامجها ومناهجها حتى اطمأن إليها، وأصبح فيها راغباً، وحمد العقبى؛ وما أظنه الآن يذكر ذلك إلا عَجِبَ، كيف تحوّل من تلك الحالة إلى هذه الأحوال؟!

لم أسأله كم سني عمره؟ لهذا لا تنتظر مني أن أحدد لك ذلك؛ وإن كنت قد سألت العشرين عاماً التي مضت من عمره، فأخبرتني أنه مر بها منذ بضع

سنوات، فعلى هذا يكون عمره قد تخطى العشرين سنة ببضع سنوات، فإن كان الأمر غير ذلك – لا سمح الله – فالمسئولية على مظهره في الجسم وملامحه، التي جعلتني أحكم عليه هذا الحكم.

دعني من هذا، وانظر إلى ما تنطوي عليه هذه الشخصية من معان كثيرة، فهو من القلائل الذين يتسمون بالاتزان والوقار والسكينة، يكاد يكون شعاراً ثابتاً لهم، تراه لأول مرة فتحسبه حينما يبدو لناظرك متزمتاً أو متكبراً أو شديد التعصب والمحافظة، ولكنك لا تكاد تكلمه أو تجلس معه، حتى تتغير نظرتك نحوه؛ وتضطر إلى تبديل رأيك فيه. فهو قد يهضم نفسه حقها، ويتنازل عن رتبته التي يستحقها لكل أحد، وهذا تواضع، فمنظره – والحق يقال – لا يدل على مخبره، من هذه الناحية وغيرها من النواحي، التي تكون بغير كفته.

وهو محافظ في سلوكه، جمُّ الأدب كثير الحياء، اكتسب هذه الصفات من نفسه بنفسه، فلم يكن إبان صغره يشرف عليه أحدٌ في طريقة تربيته الإشراف الكامل، فهو الذي أدّب نفسه بنفسه، لهذا لا نرى بأساً في أن نصفه بأنه عصامي، لم يساعد في تنشئته جاه ولا نسب، ولا اعتمد على خال ولا أب.

مجامل من الطراز الأول يحسن اللف والدوران، ويقوم بدور الثعلب في الحيصة والروغان، وذلك يحدث له في كثير من الأحيان. يصوغ العبارات والاعتذارات ويستطيع إقناعك – ولو كنت معتداً بذكائك – بما تأخذه عليه، وهو سائر فيما يريد.

أعجبُ منه أنه لم يكسب أصدقاء خلصا إلا في النادر، على ما أوتيه من حسن المجاملة وبديع الملاحظة؛ فمعظم إخوانه يحترمونه من بعيد إلى بعيد، ولعل

السبب في ذلك ليس غامضاً، وما هو إلا ترفعه واعتزاله الناس واختلاؤه بنفسه ودروسه.

له عقل كبير، يربو على علمه، وهذا هو السر الذي جعله يبرز بعلمه أكثر مما هو بالحقيقة، وذلك لاستطاعته أن يغطي نقصه في هذه الناحية بما قد أوتي من عقل، ومن أساليب لا نعرفها، فهي من أسرار "الدبلوماسية".

لم يؤت حكمة التحدث بالمحافل، لا سيما الكبيرة منها، لهذا تراه كثيراً ما يؤثر الصمت – وإن كان في جعبته بعض الكلام – لأنه ليس لبقاً في إدارة دفة الحديث وتشويق السامعين؛ لهذا لا تأخذ لحديثه بداية ولا نهاية، –مع الأسف – يستطيع ضبط أعصابه ووضعها في ثلاجة عند اللازم وغير اللازم، لذلك تراه في أكثر الأحيان هادئ الطبع، لا تثيره الكلمة ولا الكلمات، بل تمرُّ عليه بسلامٍ، ويمر بها هو مرَّ الكرام، ولكن حذار من غضبه الحليم.

وهو يحب التفلسف والتعليق على ما يقرأ – وما أكثره – فإذا وجد أذناً صاغية، وكان من يستمع إليه عدداً قليلاً من الناس، يحب التظاهر بالمعرفة والاطلاع، ولفت الأنظار أو بعبارة أخرى (يحب التعالم) وليس هو المنفرد بهذه الصفة، فهي زهرة كثير عشاقها.

للمنافسة عنده ميدان وأي ميدان! فهو لا يريد أحداً يسبقه – ما دام ذلك في يده، ويحتال على ذلك بشتى الحيل؛ حتى لقد تخرج به المنافسة عن طورها الذي يحبه إلى ما لا ينبغي – وأنت بذلك أعرف – يهولك منه ضخم جسمه، فإن كانت زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما يقولون – فإن جسمه كبير فلا بد أن علمه كثير.

ولا تسارع – يا صاحبي – فتحتج عليّ بعظم البعير من غير لُبّ، فإن البعير لا يشذُّ عن القاعدة؛ إذا جعلنا لكل شيء اختصاصه، فالبعير كبير، لهذا يحمل الحمل الكثير – هل آمنت؟ قُلْ: نعم، وخل المغالطة، مالك ولها – إما إن لم تعجبك هذه الفلسفة فدعها لي مع الشكر

في شخصيته شيء من الغموض والإبهام، قد يخفى على بعض الأفهام. دؤوب في العمل حريص على الدراسة، مجد مجتهد، لا يدع فرصة تمر به دون فائدة، يحب أن يصل الليل بالنهار لو تمكّن، وإن لم تصدقني فاستنطق عينيه اللتين قد آداهما السهاد وطول النظر. لو أفاد بمقدار هذا الكلام والدأب لأصبح اليوم علّامة، طويل الباع، واسع الاطلاع، ولكن على ما يظهر لم يفد بمقدار ما أنفد – والسبب لا أعلمه أو أعلمه، ولكني لن أقوله، مع أنه اليوم من المبرزين في هذه المدرسة، فإن كان في الصف الخامس الثانوي منها، فإنه فوق ذلك من الرعيل الأول بين أقرانه في جميع مراحل دراسته، وهذا ثمرة جهده وحرصه على وقته.

ميدانه إذا أردنا التفصيل يتجلى في العلوم الدينية ثم علوم اللغة العربية لا يدانيه فيهما أي شخص آخر من أبناء هذه الدار. وإذا كان قد اتجه إلى هذه فإن حظه من العلوم الأدبية وملحقاتها ليس بالقليل، فقد هرب منها أولاً فأبت إلا أن تلاحقه فأمسك الآن بالزمامين.

عنده إلمام من الثقافة العصرية، ويحب الاطلاع على الصحف والمجلات، ولكن إفادته منها لا تذهب به بعيداً. بقيت العلوم الرياضية، وهذه لم يحظ فيها بشيء يذكر، وإن كان اتجاهه نحوها طيباً لو وجد متسعاً من وقته.

ذكاؤه متوسط، وتفكيره منسجم ممتاز، ولديه حافظة ليست بالقوية، لهذا كثيراً ما تخونه في المحافل، حينما يمسك طرف الحديث فيضيع عليه طرفه الآخر، يأخذ الأمور كما هي، وتنقل نقلاً، فإذا حاول تحكيم ذوقه تَخَلَّف في هذا المضمار.

أفاد من هذه المدرسة كثيراً وكثيراً في شتى النواحي العلمية، فقد وفد إليها قبل أن يحمل الشهادة الابتدائية، في السنة التي التحق فيها هنا، ثم اتجه إلى الدراسة الثانوية. ليس له في الشعر ميدان يذكر، وإن كان قد حاول أول الأمر أن ينظم، فنجح في هذا بعض الشيء، ولكنه لم يستطع أن يشعر، والفرق بينهما ظاهر. وهناك رأى الجو غير ملائم فتحول منه إلى ميدان النثر، فهو الآن من الكتاب الممتازين في هذه الدار.

يغلب على أسلوبه الصرامة والجد، ويصطبغ بالصبغة العلمية أحياناً، لهذا يفقد شيئاً من الحلاوة والعذوبة، ثم هو يحب التطويل في كل مجال، سواءً أكان ما يكتب خطاباً خاصاً أم عاماً أم موضوعاً إنشائياً، وهذا التطويل كثيراً ما يجنى عليه من حيث لا يدري، فلو أوجز حينما يكتب، وتحرى الأسلوب السهل الممتع، لكان لما يأتي به من حقائق أثر كبير، فلعله يجبر في خاطري، ويستجيب لهذا الاقتراح مع القصور.

وصاحبنا بعد هذا قليل الكتابة في غير المناسبات، ما أدري ما هو السبب؟ هو يعرف بلا شك — ولئن سألتني عنه بالجملة، إنه ممتاز حقا في خُلقه، وعلمه وأدبه، وإن كان يحتاج إلى (أبا زير) من هنا وهناك، ليتم له الامتياز؛ لهذا كله فإنني أتنبأ له بمستقبل زاهر — إن شاء الله — أما نبوءتي فيما لعله يشغله من

المناصب في المستقبل فأخشى إنْ قلت: إنه رجل قضاء أن يغضب عليّ، مع أن هذا هو ما أرجحه؛إذ إن عِدَّةَ القضاء لا تنقصه... عفواً إن لم يناسبك هذا الترشيح فهو مني فقط، وإذا لم يعجبك فردّه عليّ، ومعذرة أيها الزميل – ثم اجعل بالك من أن هذه النبوءة مأخوذة – بالقوة والعزم فقط، فليس هناك وحي منزل ولا كتاب مرسل... يعني أنها نبوءة (على الهامش).

وإلى هنا أقف عن متابعة الخطاب فلقد أطلتُ عليكم الكلام حتى خشيت أن تصابوا منه في كلام أو على الأقل في صداع وزكام، لهذا أرى لزاماً عليّ أن أعرج على الختام، وما ذلك إلا لأنني أغادر هذه المنصة لأجلس حيث كنت قبل القيام.

* * *

٢) النص الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

١٧/ جمادى الثانية/ ١٣٦٨هـ

عدسة المعنويات (تلتقط صوراً لهؤلاء)[١]

إن هذا الذي سنقدّمُهُ اليوم أيضاً أحد الزملاء الكرام، الذي حُظينا بزمالته، وإن لم تصل إلى درجة أطلق عليها اسم الصداقة، وليس يهمنا في هذا المجال هذا ولا ذاك، إذا المقصود هو أن نأخذ لمن نريد أن نقدمه صورة كما نعرفه، أو كما يتراءى لنا، وفي هذا كفاية. وكما أسلفنا – غير مرة – من أن ليس لقدم

(١) ورقة مخطوطة مكتوبة بيد الشاعر (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

توطد الصداقةِ أو ضدّها أثر على موقف العدسة التي أخذت على نفسها أن تصوّر من توجه إليه، كما هو في الواقع، لا كما تريد أو يراد منها:

وبعد هل عرفت من هو صاحب الصورة اليوم؟!

أظنك لا تعرفه حتى الآن؛ وقد آن أن تعرفه، سلني من هو؟ لأقول لك هو: –

(.....)

في الصف الخامس الثانوي، من أسرة هي أشهر من نارٍ على علم – كما يقال – يعرفها الداني والقاصي، والخاص والعام. استهلَّ حياته من حيث المولد والنشأة في الرياض بين أبويه. ثم شاء الله أن يفقد عطف والدته بوفاتها، فكان القائم على تربيته وتنشئته هو والده.

دلف إلى الكتاب في صباه كعادة من قبله وبعده، فحفظ القرآن، ثم أخذ من بعد مبادئ القراءة والكتابة؛ وبعدها عرَّج على حلقات العلماء في الرياض أولاً، ثم في الخرج آخراً – وليس أخيراً – وكان في هذه الفترة يدرس دراسة مشيخة أو بعبارة أخرى – دراسة استظهار لمتونٍ مخصوصةٍ في التوحيد، والفقه، والنحو (أو بَس)، ثم دراستها سرداً على وجه أشبه ما يكون أنه للتعبد لا للفائدة، وهذه طريقة أنعاها عليهم في كلِ مناسبة. – مع احترامي لشخصيات علمائنا الأفاضل – هو ما لا يلزمُ منه احترامُ مناهجهم التعليمية – إن صحّ هذا التعبير – لهذا تستطيع أن تبين أن صاحبنا لم يعرف المدارس النظامية قبل (دار التوحيد).

لست أدري، كم سني عمره بالضبط، ؟ حتى ولا التقريب، على أنني إن أردت تحكيم العقل بما قد سيبدو لي لأول وهلة، فسأقول: إنه دون العشرين من عمره، أما الخبير فيقول: إنه بين العشرين والثلاثين، قلت له: إلى أيهما هو أقرب؟ فأومأ إلى الثلاثين، فإن كان الأمر غير ما قلت – أو قال – فأنا أحمدُ الله على أني أروي خبراً منقولاً (وباب الرواية أوسع وأفسح من باب الإنشاء)، كما يقول من ليسوا بمجانين.

سمع بدار التوحيد عن بُعْدٍ، فجاء إليها في السنِة الثانية لتأسيسها، منقاداً راغباً في الدخول، فلم يكن بحاجة إلى سائقٍ ولا قائد. ما كاد يستقرّ بها حتى أمسك عليها بالنواجذ. ويظهرُ أن الذي دفعه إليها راغباً هو ما لديه من حرية في الرأي، وحب الأخذ بالجديد، ومسايرةً العصر الحاضر؛ فلم يكن – على رغم البيئة التي عاش فيها – ذا جمودٍ ولا تَحفَظٍ مُفرطٍ، أو تَزَمُتٍ مستكره. ولم يزل حتى الآن في عداد طلاب هذه الدار، وإن كان تحمسه لها ورغبته الشديدة –على ما يظهر لي – قد تَقلصَتْ بعض الشيء، أما السبب فلا يعلمه إلا الله ثم صاحبه.

هذه إشارة عابرة عما مرَّ فيه في بدء حياته حتى انتهى إلى دار التوحيد. أما إن أَرَدْتَ خلائقه وما يتصلُ بها مما لا بُدّ منه، فسأنبيك عن طرفٍ منها كما بلوته؛ فصاحبنا مُرهف الحس، رقيق الشعور، سيء الظن بكل ما حوله؛ ولا أدري هل هذا الأخير من الحزم أم لا؟! يتأثر من كل شيء ويضيق صدره لأدنى تصرفٍ من الآخرين، لا تعرف له حالاً معينة ولا تثبت به على رأي،

فهو تارة هنا، وتارة هناك. عرف زمانه فجاراه، فهو كالماء يتلون بلون الظروف، التي تكتنفه وينساب في تصرفه انسيابه.

يتعصب لآرائه ويجادل عنها، فهو في ذلك قوي الحجة، وشديد المعارضة؛ أعجبُ منه أنه لم يكسب أصدقاء من إخوانه طلاب مدرسته، على أن أصدقاءه خارج المدرسة كثيرون. عصبيُّ المزاج، لهذا تمر به بعض الساعات مهموماً مغموماً إلى حد – يجعله في حالة ترثي له فيها – ولو فتشت عن الأسباب لوجدتها أقل من المسبب. لا يحقر نفسه عن شيء، وإن كان استعداده دون ذلك. يجب التظاهر في كل ما يلفت الأنظار ويثير الإعجاب، ولو كلّفه ذلك، ويرى لنفسه منزلة لا ينتظر الناس يحلونه إياها، وإنما هو الذي يقدم نفسه أو قل: يفرضها فرضاً؛وأنت مصيب.

ينقلب كيف يشاء متى يشاء، ويحذقُ هذه الحرفة؛ لديه جرأة على الكلام بالمحافل الخاصة والعامة، ويحسن إدارة دفة الحديث واستثارة الإعجاب، ولو لم يكن جاء بشيء ذي بال؛ فهو قد راض نفسه على الحديث ولسانه على رصف الألفاظ العربية، وحبكها في معرض القول.

فهو بعدُ كثيرُ الكلام إذا تكلم، كثيرُ الصمت إذا سكت، وليس هذا من التناقض في شيء، فاجعل بالك له.

عنده تفكير منسجم، ودقة نظرٍ في المسائل الاجتماعية، وفيه تحمس للمشاريع الإصلاحية، والمرافق الحيوية، وليس لغيره من أقرانه، وما أدري أهذه غيرة صادقة، أم طبيعة متأصلة، أم غير ذلك؟ يُحِبُّ المنافسة، ويريد الظهور على غيره؛حتى ليخرج في ذلك عن طوره في هذا المضمار إلى ما لا يُحْمَدُ.

يتكلم فيسكت من حوله، ويذهبُ في الحديث كلّ مذهب، ولقد يروعك منه ذلك، فتلتفت لترى أين صاحب الكلام؟ ولكنك لا تستطيع رؤيته بسهولة إلا إن كان معك (ميكروسكوب)، ولعل هذا السرِّ الذي يحمل بعض الناس على الإعجاب به؛لأن كلامه لا يتناسب وقوامه.

فيه أنانية، واحتقار للغير، ولا يخلو من كبرياء، وعجرفة. يحب أساتذته أكثر من إخوانه – على ما يظهر –، في شخصيته غموض، أو شبه غموض، ولا تستطيع أن تشخصها على وجه التمام.

معلوماته جملة لا بأس بها، وإن كان في العلوم الدينية قد يكون أميز، ولهذا استطاع قطع جميع مراحل دراسته في نجاح معقول، وهو يعتمد في الدراسة على الذاكرة أكثر من اعتماده على الفهم؛ فبقدر ما رجحت كفة حفظه، شالت كفة فهمه.

ممتاز الذكاء ومتوسطة، وليس في هذا شيء من المغالطة، فنحن إن نظرنا إلى ذكائه من حيث تصرفه في حياته العملية حكمنا له بأنه ممتاز، ولكن ذكاءه في ميدان العلوم يختلف قليلاً، لهذا نستطيع أن يجعله قابلاً للتجزئة والتفصيل. وهو في العلوم العربية وسط بين هذا وذاك، على أن دارسته لها ليست دراسة هضم وتذوقٍ صحيح، لهذا لم تتطبع لديه الانطباع المطلوب. أما العلوم الرياضية فلم يؤت فيها قليلاً ولا كثيراً؛ فهو لم يحرص عليها، وهي لم تسلم له الزمام، لهذا نأى عنها، وتناءت عنه.

كاتب جيد، يستحق أن نحشره في زمرة الكتاب السابقين في هذه الدار؛ له أسلوب خاص في الكتابة، يُعْنَى بالمعاني ويذهب إليها، فتذهب عنه الألفاظ،

لهذا يضطر إلى حشد ألفاظ مبتذلة، تتكرر عنده غالب الأحيان أمثال: الحقوق، والواجبات، والمسئوليات، والمدارس، والمستشفيات.. إلى آخر هذه الحكايات..

لو قوّم أسلوبه وسلم من التطويل في بعض المواضع لكان لما يأتي به أثراً وأيّ أثر. وقد يكون له بعض العذر في ذلك، فهو لا يتكلف الكتابة، ولا يعد لها العدة، يكتب إذا أراد بين الصخب واللجب، وفي أوان شغل أو غيره، لا يعني بها، ولا يلقي لها بالاً، فحيثما عنَّت له الكتابة أمسك القلم في تلك اليد العسراء، وخطّ لك – إن شئت سِفراً.

حاول الشعر فأخفق، يأتي بالبيت والبيتين، ولكن حمار الشيخ بعد ذلك يقف بالعقبة، لهذا اضطر إلى ترك ما لا يستطيع إلى ما يستطيع. -وهذا هو المفروض – وأنا بعد ذلك أرجو لصاحبنا مستقبلاً زاهراً.

وإذا كان لي رأي، فإنني أرى أن ما يصلح أن يشغله بالذات، هو إدراة أحد المصالح؛ لأن لديه كفاءة وقدرة على الإدارة – في نظري –

ولولا ضيق المقام لاسترسلت في الكلام عن هذه الشخصية، لعلنا نصل إلى شيء يذكر، وحسبُنا هذه الإشارة، لعلها تكون أبلغ من عبارة، وما على من قدم اعتذاره، أن يدع المقام لغيره ممن أطال انتظاره، فليتقدم صاحب الإمارة.

النص الثالث: تحيةُ من نجد[1]

الأستاذ الكبير رئيس تحرير مجلة الثقافة الغراء.

---

(١) مجلة الثقافة (مصر) – العدد (٦٣٢) -١٣٧٠/٤/٢٨هـ، (ص٣١)

تحيةُ يعْبقُ ريحُها بشذى البيت العتيق، أزفها إليكم جزاء ما عملتُم، وتعملون لبث الأدب بين أوساط المجتمع العربي.

منذُ شدوتُ الأدب كان قائدي – في مسالكه الغريبة عليَّ – مجلتان مصريتان، أخذتا بيدي وبأيدي شباب بلادي إلى الحسنِ المقبول من شَتَّى البحوث والمقالات.

تلكم المجلتان هما: الثقافة والرسالة، وَلِكُلٍّ منها شيعةٌ ومؤيدون. أما الثقافة فإننا نحيي فيها هذا التشجيع الأدبي المنتج، فكم أسدت إلى شباب الشعراء وكتاب الشباب من يدٍ بيضاء، هي في الظاهر إلى الأشخاص، بينما هي – في الحقيقة – مسداة إلى أعماق المجتمع والأجيال القادمة. وكم لدينا على هذا من الدلائل!! وهي كذلك تطالعنا بالمفيد في أبوابها؛ فما شئت من نقد نزيه، وما أردتَ من التراجم والمعلومات عن طائفة من علماء الغرب وأدباء الشرق. إنا نكبرُ منها هذا العمل ونستزيدها منه.

هذا وإنّي لواثقٌ – أيها الأستاذ الجليل – أن بلادنا ستعود إلى ماضيها المجيد، أيام كان من أبنائها: الفرزدق، وجرير، وعُمر بن أبي ربيعة وجميلُ، وقبل ذلك امرؤ القيس وأنداده، ولكي يكون لنا هذا، لا بد من العملِ، ومن مُعْضِد يوجهنا إليه، ومَنْ أحقّ بهذا من مصر – يا رعاها الله – لقد أخذت على عاتقها أن تنشلنا من وهدة الجهل وظلماته، وها هي بسبيل ذلك تواصل العمل في كل حقلٍ من حقول بلادنا.

عبدالله صالح الفالح – نجد – عنيزة

النص الرابع: وصف حفل[1]

بمناسبة إنهاء طلاب معهد عنيزة السعودي مقرر دراستهم هذا العام في اللغة الإنكليزية، الذي انتدب لتدريسه منذ شهرين، الأستاذ وجيه عبدالعزيز؛ فقام بتعليمهم على قدم وساق، وبذل مجهوداً عظيماً، كان من نتائجه أن استطاعوا أن يأخذوا مقررهم طوال العام في وقت قصير.

وبمناسبة إنهائهم ذلك – كما ينبغي حقاً – أقامت أسرة المدرسة السعودية الأولى بعنيزة برئاسة الأستاذ وجيه عبدالعزيز، المبعوث لتعليم الطلاب – أقامت حفلة كبيرة دُعيَ إليها لفيف من وجهاء البلاد وأعيانهم وفضلائهم، وفي مقدمتهم صاحب السعادة أمير البلاد، كما حضرها حشدُ كثير من المواطنين.

وما إن جاء صباح السبت الموافق ١٣٦٨/١٠/١٢هـ، إلا وساحة المدرسة قد اكتظت بالمدعوين من مختلف الطبقات؛ ولما آذنت الساعة الحادية عشرة – وهو الميعاد المقرر لافتتاح الحفل – استهلت الحفلة بتلاوة آي الذكر الحكيم، رتلها الشاب عبدالله الصالح الفالح، ثم ارتقى منصة الخطابة على إثر ذلك مدير المدرسة العزيزية بعنيزة الأستاذ صالح الناصر ابن صالح، فألقى كلمة ترحيب بالمدعوين، ثم ألقى الأستاذ وجيه عبدالعزيز كلمة الحفل، وهي كلمة طويلة رحب فيها بالمدعوين، ثم أبان فيها عن مدار الحفلة وموضوعها، وعرج على الكلام عمّا لمثل هذه الحفلات من الفوائد، وقد كانت كلمة جامعة محكمة ضَمَّتْ إلى غزير المعنى سهولةَ اللفظ والانسجام الكامل.

---

(١) أوراق مخطوطة بيد الفالح (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

وبعد ذلك جاء دور الطلاب المحتفل بهم، حيث يقدمون نماذج مما أخذوه جديداً في اللغة الإنكليزية، فتقدم الطالب سليمان الشريف، وارتجل كلمة قصيرة باللغة الإنكليزية، رحّب فيها بالزائرين، وأعرب عن سروره بذلك، وقد ترجم كلمته إلى العربية زميله الطالب صالح المساعد، ثم عرضوا درساً نصِيّاً باللغة الإنكليزية، قام فيه بدور المدرس عبدالعزيز العبد الرحمن الذكير، وهو أحد زملائهم. ثم قام الطلاب بإنشاد قطعة من النشيد الإنكليزي باللغة الإنكليزية أجادوا في تلحينها، كما أجادوا في أدائها.

وهنا انتهى برنامج الطلاب المحتفل بهم من حيث تقديمهم نماذج باللغة الإنجليزية.

وبعد ذلك ارتقى منصة الخطابة الأستاذ عبدالرحمن العليان مدير المدرسة السعودية بعنيزة، وألقى خطاباً قيماً، أشاد فيه بما رآه من تقدم العلم، وما يجب على الآباء نحو أبنائهم في هذا الموضوع. وعلى إثره قام الأستاذ عبدالله العلي اليحيا، وألقى كلمة ضمنها ما قد اختلج في جوانحه، وحمله على السرور من طلائع هذه النهضة المباركة، ودعا للمليك المعظم بطول العمر، كما أشاد بفضل رجال المعارف. ثم أعقبه طلاب المعهد حيث صدحوا بالنشيد.

وهنا جاء دور الطلاب من خارج المعهد، وهم الذين جاءوا لقضاء إجازتهم هنا، من مدرستي المعهد لتحضير البعثات ودار التوحيد ومدرسة الطيران بالظهران.

وقد ألقى عبدالله النعيم كلمة عن المعهد العلمي السعودي أشار فيها إلى وجوب المساهمة في جميع العلوم، وعدم الاقتصار على شيءٍ معين.

وعقبه ألقى مأمور بريد عنيزة موسى الضبيبان كلمة باللغة الإنجليزية، تحدث فيها عن التعليم، وقد ترجمت فيما بعد إلى العربية.

وقام على إثره عبدالله الفالح من طلاب دار التوحيد السعودية، فألقى كلمة بالنيابة عن زملائه، أثنى فيها على جهود الأستاذ وجيه، كما شكر الطلاب على جدهم، وقد تناول فيها ما للغات الأجنبية من الأهمية في العصر الحاضر ووجوب تعلمها.

ثم أعقبه عبدالله القرعاوي بكلمة عن تحضير البعثات، أهاب فيها بأولياء الطلاب أن يعاونهم ولا يقتصروا على الدراسة الابتدائية، بل يدعونهم يكملون جميع مراحل تعليمهم.

ومن بعده قام حمد القاضي، فألقى كلمة عن مدرسة الطيران بالظهران، دعا فيها إلى الالتحاق بمدارس وزارة الدفاع، مبيناً ما لها من الفضائل والمزايا.

ثم ألقى بعده عبدالله الفالح قصيدة من نظمه، كان لها الأثر الحسن. وألقى بعده الأستاذ حماد العبدلي مراقب اللاسلكي والبريد في عنيزة كلمة قصيرة عَبَّرَ فيها عما يكنه هو وزملاؤه موظفو الدائرة من سرور وابتهاج، وأشاد بمآثر جلالة مليكنا المعظم وأنجاله.

ثم قام الأستاذ صالح العمري مدير مدرسة بريدة الأولى، وألقى كلمة، أبدى فيها إعجابه وتقديره لما رأى من نشاط، وما شاهد في البلاد من اتجاه طيب، ثم تقدم الأستاذ صالح الناصر بن صالح مدير المدرسة الأولى، وألقى قصيدة رائعة قوبلت بمنتهى الاستحسان، وكان لها وقع عظيم.

وهنا انتهى الحفل، وختم بتلاوة آي الذكر الحكم، تلاها عبدالله الصالح الفالح.

وبعده انفضَّ الحفل بعدما استمر ما يقرب من ثلاث ساعات، وانصرف الناس، وقد بدت على وجوههم علائم البشر، وسروا سروراً عظيماً مما رأوه، وقد أثرت هذه الحفلة في قلوب الناس جميعاً أثر أحسناً، فصار لها ذكر كبير في المجتمعات والنوادي، وكلهم يلهجون لجلالة الملك بطول العمر والتأييد، ولولي عهده بالتوفيق والسداد.

* * *

النص الخامس: (١)

لمحة خاطفة عن بدء البعثة.

يطيب لي – وهل بعد هذا شيءٌ يستطاب – أن أتحدث في هذه الكلمة العابرة التي لن أستطيع أن آتي فيها بشيءٍ يذكر؛ يناسب لما لهذا الحديث من خطورة ومكانة في هذا المجتمع الإنساني الكبير، وما له من أثر في عموم البسيطة.

ولكنني سأعتنق المثل القائل: مالا يدرك كله لا يترك جله؛ على أنني مشفق، حينما أقدم على ذلك أن يفوتني الكل والجل، ولكن لا بد مما ليس منه بد– كما تميلون – ولنستهل المقال من بدء البعثة المحمدية؛ فنقول: كان الناس قبيل

(١) أوراق مخطوطة بيد الفالح (من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية).

بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلام دامس، قد أطبق عليه الجهل، وحاقت بهم المنكرات، واستولت عليهم الشهوات، حتى انحطت أخلاقهم، وسفهت أحلامهم، وانغمسوا في الرذائل، وتخلوا عن الفضائل.

دياناتهم عبادة الأصنام وتأليه الأوثان، وأخلاقهم عمل الميسر، وشرب الخمور، وعاداتهم وأدُ البنات، والافتخار بالأنساب والأحساب، والعصبية العمياء، التي جعلتهم كل حين في حرب وخصام وعداء، ليس مرجعه وئام، إلخ.

هذه الخرافات في المعتقدات والأباطيل والمنكرات، فبينما هم في سكرتهم يعمهون، وضلالتهم يتخبطون، وقد أنساهم الشيطان ذكر ربهم، وأملى لهم، وأوقعهم في كل رزية وزجَّ بهم في مهامه الهلكات – بينما هم على هذه الحالة، إذا بالنور الوهاج، والسراج المنير، محمد (صلى الله عليه وسلم)، يبعث إليهم بعد فترة طويلة –كانت إرهاصاً لمبعث النبي الكريم، و" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريصُ عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم".[1] نعم لقد بُعث إليهم رسولٌ من صميم قريش، وأرفعهم نسباً، وأشرفهم، وليست هذه ميزاته فحسب، بل كان شاباً ذا مكانة، يدعى بالأمين لدى قومه يحترمه صغيرهم وكبيرهم، ويرون عليه مخايل النجابة والفطنة وملامح التقوى، وسمة الوقار، فهو الشاب اليتيم، قد نشأ نشأة مخالفة لما هم عليه أعظم الخلاف، لم يشرب خمراً، ولم يسجد لصنم، ولم ينطق هجراً، ولا حضر مجالس اللهو، ونوادي

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

الفسوق. بل كان ذا سمْتٍ ووقار، وحلم وتقى، وكان في أخريات أيامه التي قبيل البعثة يخرجُ إلى الخلاء، ليتحنث في غار حراء، ويذكر ربه ويتعبد على دين أبيه إبراهيم الخليل عليهما السلام.

هو ذا الذي اختاره رَبهُ ليرسله إلى الناس كافة، ويكرمُه بما لم يكن للأولين والآخرين. ألف النسك والعبادة والخلق طفلاً، وهكذا:

وإذا حلَّت الهداية قلباً نشطت في العبادةِ الأعضاء

* * *

ثم كان أن بعثه الله لينقذ الناس مِمَّا وقعوا فيه، وليكون رحمة للعالمين، فكان مبعثه أشبه بالمطر الغزير، وقع على أرض هامدة، فأحياها بعد موتها، وأرواها بعد يبسها، بل إنه الأعظم وأعظم.

وكيف يجوز لنا أن نشبه المواهب الروحية بالمحسوسات، وإنَّ بينهما لبوناً شاسعا يدرك في البداهة...

بُعث الرسولُ الأكرم ليتمم مكارم الأخلاق، كما جاء في الحديث عنه (عليه السلام)، وليكون مبشراً ونذيراً لقوم يعقلون. ومن هنا بدأت الدعوة المحمدية الشريفة تغزو قلوب أولئك القوم، وامتنَّ الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) بهذا الدستور السماوي المعظم، ألا وهو القرآن، فكان ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتثبيت فؤاده وإرشاده، وتعليمه، وليتحدى به المشركين، ويكون نبراساً للمتقين، ولم يكن في بادئ الأمر ينزل إلا في الدعوة إلى الإسلام جملة، دون ما تعرُّض للتكاليف الشرعية التي فرضت على المسلمين من بعد.

ذلك أن الإيمان بالله وتوحيده بإفراد العبادة له، ونفي العبادة عمّا سواه هو الأصل الذي تقوم عليه الشرائع، فاقتضت حكمة الله (جَلَّ وعلا) أن تكون الدعوة إلى ذلك، حتى إذا آمنوا بالله وكفروا بما يعبدون من دونه استطاعوا أن يتقبلوا ما يرشدهم إليه صاحب الشرع (عليه السلام) بِكُلِّ ارتياح وطيبة نفس، وهو من حكم الله البالغة، ورأفته ورحمته سبحانه وتعالى بعباده

نبأ الله خليله (عليه السلام) بـ (اقرأ) وأرسله إلى الناس بالمدثر، حينما قال الله تعالى مخاطباً رسوله (عليه السلام) : "يا أيها المدثر قم فأنذر وربّك فكبر،... الآيات"، لأن جبريل (عليه السلام) حينما نزل عليه بسورة (اقرأ) وغطه مرتين، وكان يقول له: اقرأ، فيقول (عليه السلام) : ما أنا بقارئ، حتى غطه الثالثة، وقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" إلى آخر السورة، فقرأها النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم ذهب إلى أهله، وقال: دثروني زملوني، فنزلت: "يا أيها المدثر، قم فأنذر "فكانت صريحة بالإرسال، حيث أمره الله تعالى أن يقوم لينذر الناس، فما كان منه (عليه السلام) إلا أن صدع بالدعوة، وظهر بها على قومه بقوة وعزم وإيمان راسخ.

أرأيت حينما صعد (عليه السلام) على جبل أبي قبيس، ونادى بعالي صوته، "يا أيها الناس" فلما اجتمع حوله كثير من قريش، أراد أن يقدم لما سيقوله بشيءٍ، يقيم عليهم الحُجَّة، ويدفع ما قد يتعلقون به، فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الوادي خيلاً ستصبحكم، أكنتم مصدقي، قالوا- وبحق ما قالوا- ما جربنا عليك من كذب، لأنهم عرفوه صادقاً وفياً وأميناً وذكياً طوال إقامته بين ظهرانيهم. وأربعون سنة لست بالمدة القليلة التي سبقت بعثته، ومكنتهم أن يعرفوا خلقه، ويكتشفوا سيرته.

فلما سمع إجابتهم قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، ثم أخذ ينادي: يا معشر قريش لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا فلان، يا فلان، حتى قال: يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً.

فكانت مفاجأة عظيمة فاجأهم بها، وأمراً توقعوا خطره، ولكن أبا لهب – قاتله الله – أخذ حفنة من تراب، وألقاها قائلاً: تباً لك يا محمد، ألهذا جمعتنا؟! وعلى إثر ذلك نزل قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

"تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب... " فجازاه الله على قوله وفعله بمثله، وأوجب عليه الخسران، وأنه لن يقدر له الهداية، ولن يغني عنه ما كسبه من مال وولد شيئاً عند الله، بل سيصلى ناراً ذات لهب يوم القيامة، فكانت سورة تُتْلى إلى يوم البعث، وكانت خزياً جازاه الله به، وانتصف لنبيه (عليه السلام). فعياذاً بك اللهم من الشقاوة والطغيان!

من ذلك اليوم والنبي (عليه الصلاة والسلام) قائم بالدعوة سِراً وجهاراً بطريق الترغيب والترهيب والبشارة والنذارة، وهذه السُّنة التي أرشده إليها، هي التي نهجها القرآن الكريم في طريقة الدعاية، فلست تجد البشرى إلا ومعها الإنذار، فهما متلازمان، وهذا لا يخفى على من لديه أدنى بصيرةً بالغاية من الحسن والبلاغة، واجتذاب القلوب إلى الدخول في الدين الحنيف؛ لأن الناس قسمان:

قسم تستهويه الدعاية عن طريق الترغيب والتشويق، وذكر محاسن ذلك المدعو إليه، فيكون حافزاً له، وأي حافز إلى اعتناق ذلك المبدأ.

وقسم آخر يكون التهديد والإنذار وذكر صفة الوعيد وما أُعِدّ له من النكال أبلغ في دعوته فيهرب مما خُوّف منه، ويعتنق ما قد دُعي إليه. فإذا جمع الله بين هذا وذاك، وجاء في الترغيب والترهيب في آن واحد "وبشر" "وأنذر"

في موضع فذلك – ولا ريب – من أعظم الحوافز وأكبر الدواعي لمى لديه أدنى استعداداً للإيمان، أوفي قلبه أقل قليل من نور. فحمداً لك اللهم على آلائك!

ولنرجع لنقول: إن القرآن قد كان كثيرمن آياته على هذا النحو، كما كانت دعوة الرسول، وهي مستمدة – ولا شك – مما ينزل عليه من القرآن على هذه الطريقة.

مكث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في – مكة يدعو، وقد لقي من ضروب الأذى والشدائد الشيء العظيم، فصبر على ذلك، ولم يفترْ له عزم، ولا أخذته في الله لومة لائم، ودخلت طائفة في دين الله، وهم قِلَّةٌ بالنسبة إلى قومهِ، وكان يُعلِّمُ هؤلاء، فقاموا معه في الدعوة والإرشاد، وبث التعاليم الإسلامية ولكن هؤلاء أيضاً قد ألحق بهم المشركون أنواع الأذى، فصبروا محتسبين ما عند الله، ولم يسع الرسول (عليه السلام) بعد أن رأى صلابة قريش، وإيذائهم له إلا أن يهاجر إلى المدينة.

ومن هنا انتشرت الدعوة انتشاراً عظيماً، وصار للإسلام شوكة قوية، وصوت رعّاد ينفُذ إلى الأعماق، فصار الأنصار إخوة للمهاجرين، وألَّف الله بين قلوبهم، واجتمعت كلمتهم، وأُذِنَ لهم في القتال، فغزوا الغزواتِ العظيمة، وكانوا في ذلك منصورين، وفتح الله على نبيه الفتوحات الكثيرة، وانتشر الإسلام، وعمَّ أرجاء الجزيرة، ثم كمل صحابته عليه السلام بعد وفاته الفتوحات، واستمر المسلمون على ذلك ردحاً من الزمن.

هذه إشارة عابرة، أوردت فيها استعراضاً بسيطاً لبدء البعثة، ثم إلى ما كان من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وما لقيه في سبيل الدعوة، ونحن معشر المسلمين أحوج ما نكون اليوم إلى التأسي بذلك، والاقتداء به (عليه السلام) في أقواله وأفعاله، والمشي على منهاجه.

فهذي هي شريعته السمحة، تدعو إلى كل ما يكفل للبشرية خير الدنيا والآخرة، وتحثُّ على كل ما فيه المنافع الآجلة والعاجلة، وهذا هو القرآن إمامنا، فيه تفصيل كل شيءٍ، وهو الكتاب المبين الذي لم يزده كر العصور ومر الدهور إلا توضيحاً لإعجاز، وصلاحية لكل زمان ومكان.

فأين نحن اليوم – معشر المسلمين – عن كتاب ربنا وسنة نبينا؟ لماذا لا نتمسك بها ونطبقها تطبيقاً عملياً، ونقف عند حدودها ونفهمها فهماً دقيقاً كما هو الواجب، ثم نعمل في علمنا لينير الله لنا الطريق ويورثنا علم ما لم نعلم؟ لماذا لا نتخذ من سيرة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه عبرة وموعظة، ونقرأها قراءة من أراد أن يقتفي أثرهم، وينهج نهجهم، ليتم لنا الفوز والسعادة؟

أيها السادة لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كما قال تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً... ".[1] أجل؛إنه لَهُوَ البشير النذير، وهو الرسول المبين خاتم الرسل، وأفضلهم وأكرمهم على رب العالمين. جاء ليملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئت جوراً، ويشملها بنور الحق، بعد أن أظلمت بالباطل، ويمدها بالحكمة بعد أن كانت في جهل مطبق.

فأي نعمة بعد هذه؟! وإنَّ لنا في ذلك لعبرة كبرى، وفي سيرته لمثلاً أعلى: رحمة كله، وحزم، وعزم وإباء وعفه وحياء.

صلوات الله وسلامه عليه وآله، وصحبه الذين ساروا على طريقته واهتدوا بهديه. آمين

* * *

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨).

فهرس المصادر

أولاً: الكتب:

١) دار التوحيد تطور تعليمي وتغير اجتماعي . د عثمان الصيني . د عائض الثبيتي . د جريدي المنصوري- لجنة الاحتفال بمرور خمسين عاما على تأسيس دار التوحيد . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢) دار التوحيد في ميزان التاريخ. صالح بن غازي الجودي – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع . شهادات وتجارب بأقلام أبناء دار التوحيد – لجنة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس دار التوحيد ـ الطبعة الأولى –١٤١٦هـ.

٤) الرسوم – إلياس أبو شبكة مطبعة المعرض –بيروت – طبعة سنة ١٩٣١م.

٥) في المرآة – عبدالعزيز البشري – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة. الطبعة الثانية- ١٣٦٦هـ

٦) القصيدة الرومانسية في مصر-د يسري العزب – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .١٩٨٦م.

٧) الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير – د. عبدالرحمن الشبيلي – الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.

٨) مع الشعراء– زكي نجيب محمود– دار الشروق – القاهرة. الطبعة الثانية – ١٣٨٠هـ.

٩) معجم عنيزة –محمد بن ناصر العبودي – دون مكان نشر ولا تاريخ–

١٠) وسم على أديم الزمن – د. عبدالعزيز الخويطر– مطبعة سفير . الرياض – الجزء الأول– الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

ثانياً: الصحف:

١) أم القرى – العدد (١١٦٧) ١٣٦٦/٨/٢٩هـ.

٢) أم القرى – العدد (١٢١٨) ١٣٦٧/٩/٣هـ.

٣) أم القرى – العدد (١٢٤١) ١٣٦٨/٢/٢٣هـ – ذكرى الهجرة النبوية – عبدالله الفالح.

٤) البلاد السعودية العدد (٩٠٨) ١٣٦٩/٦/٢١هـ.

٥) البلاد السعودية – العدد (١١٣٥) ١٣٧١/٥/٧هـ.

٦) البلاد السعودية – العدد (١١٤٣) ١٣٧١/٥/٢٥هـ.

٧) البلاد السعودية – العدد (١٢٤٩) ١٣٧٢/٢/١٨هـ.

٨) البلاد السعودية – العدد (١٣٠٥) ١٣٧٢/٧/١هـ.

٩) البلاد السعودية – العدد (١٣٢٨) ١٣٧٢/٨/٢٦هـ.

١٠) البلاد السعودية – العدد (١٤٩١) ١٣٧٣/٧/٤هـ.
١١) الثقافة (مصر) – العدد (٦٣٢) ١٣٧٠/٤/٢٨هـ.
١٢) الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٢٢٣) ١٤٢٨/١١/٩هـ. (موكب النور) نص عمره أكثر من نصف قرن ـ عبدالمحسن الحقيل.
١٣) الثقافية (ملحق الجزيرة) – العدد (٣٠٩) ١٤٣١/٥/٢٢هـ الغائب في صمته. د. إبراهيم بن عبدالرحمن التركي.
١٤) الجزيرة – العدد (٥٦٦٤) ١٤٠٨/٨/١٤هـ. حديث الذكريات بين مصر والشام – لقاء مع صالح الفالح – أجراه محمد الوعيل.
١٥) الجزيرة ـ العدد (٨٢٩٤) ـ١٤١٦/١/٢٦هـ ذكريات ال (٥٠) عاماً في دار التوحيد.
١٦) الجزيرة – العدد (٨٤٥٠) ١٤١٩/٦/٢٤هـ. لقاء مع محمد السليمان الشبل. أجراه محمد الوعيل.
١٧) الجزيرة – العدد (١١٩٨١) ١٤٢٦/٦/١٣هـ. الشيخ الفالح والتغني بحب الوطن ـ د. عبد الله الصالح العثيمين.
١٨) الجزيرة – العدد (١٢٢٤١) ١٤٢٧/٣/٦هـ. الناسك الذي عاش في الظل ـ عبدالعزيز بن عبدالله السالم.
١٩) الجزيرة – العدد (١٤٤٢٦) ١٤٣٣/٥/٥هـ. الشيخ عبدالله الصالح الفالح. الشيخ الذي أفل ـ خالد بن محمد الهويش.
٢٠) الجزيرة – العدد (١٥٦٩٦) ١٤٣٦/١٢/٥هـ. الفقيه العابد والأديب الزاهد عبدالله بن صالح الفالح. دسامي السلمان.
٢١) الرياض – العدد (١٥٩٤١) ١٤٣٣/٣/٢٣هـ. وفاة الشيخ الفالح.
٢٢) المدينة المنورة – العدد (٢٧٠) ١٣٦٧/١/٢٤هـ. خداع ـ عبدالله الفالح.
٢٣) المدينة المنورة – العدد (٢٨٢) ١٣٦٨/٤/١٩هـ – عقاقير ـ عبدالله الفالح.
٢٤) المدينة المنورة – العدد (٢٨٩) ١٣٦٨/٦/٩هـ.
٢٥) المدينة المنورة – العدد (٢٩٣) ١٣٦٨/٧/٨هـ.
٢٦) المدينة المنورة – العدد (٣٣٢) ١٣٦٩/٦/٤هـ.
٢٧) المدينة المنورة – العدد (٣٧٧) ١٣٧٠/٥/٢٢هـ. لحن شارد ـ عبدالله الفالح.
٢٨) المدينة المنورة – العدد (٣٨٩) ١٣٧٠/٨/١٧هـ. نشيج قلب ـ عبدالله الفالح.
٢٩) المدينة المنورة – العدد (٣٩٣) ١٣٧٠/٩/١٦هـ.
٣٠) المدينة المنورة – العدد (٤٠٨) ١٣٧١/٢/٧هـ. أصداء الخريف ـ عبدالله الفالح.
٣١) المدينة المنورة – العدد (٤٥٨) ١٣٧٢/٢/٢٥هـ.

٣٢) المدينة – العدد (١١٧٥٧) ١٤١٦/١/١٦هـ. دار التوحيد في عيون الأدباء ورواد الكلمة.
٣٣) المسائية–العدد (٣٧) ١٤٠٢/٣/٧هـ. لقاء أجراه محمد الوعيل مع عثمان بن سيار.
٣٤) مجلة الهلال العدد (٧) ١ المجلد (٥٩) ١/ يوليه ١٩٥١م. ٩/٢٧/ ١٣٧٠هـ.
ثالثاً: الوثائق:
أوراق مختلفة بخط الفالح من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية.
رابعاً: اللقاءات:
اللقاء الشفهي مع الشيخ عبدالله الفالح–أجراه الأستاذ محمد القشعمي – ضمن التاريخ الشفهي – من محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية.

* * *